عـود الـنـد

ISSN 1756-4212

مجـلـة ثـقـافـيـة فـصـلـيـة

رئيس التحرير: د. عـدلي الهواري

العـدد الفصلي 2: خـريـف 2016

تحليل سيميائي لرواية **التبر**

قراءة في رواية **كل المعارك**

نظريات الديمقراطية: عرض ونقاش

الحرب على العراق: تقرير شيلكوت

التقشف سياسة اقتصادية فاشلة

المجتمع المدني كأيديولوجية

قصص قصيرة * إصدارات جديدة

المحتويات

عدلي الهواري - كلمة العدد الفصلي الثاني

الحوار الاجتماعي بديل الإقصاء والاستئصال



لا يمكن القضاء على الأفكار المختلفة، سواء أكان الاختلاف على أساس فكري أم أيديولوجي أم ثقافي أم خلافه. ولا يجوز التفكير بالقضاء على الأفكار المختلفة. وإذا تمكن تيار من هزيمة تيار آخر، فالنتائج التي تجنى من ذلك قصيرة الأمد، حتى لو استمرت مرحلة الهزيمة عقودا، فما يجري في فترة الشعور بالنصر والسيطرة على الوضع القائم زرع بذور نزاع سينفجر في وقت لاحق.

لا أتحدث عن التيارات الفكرية بالمطلق، فهناك أفكار وتيارات فكرية عنصرية غير جديرة بالانتشار. ولكن الواقع يخبرنا أنها موجودة، والمهم أن يظل انتشارها محدودا. ومقياس الحكم على تيار فكري بأنه سيء ليس الخصومة الفكرية، أو التنافس في حلبة السياسة على تأييد الجماهير أملا بالوصول إلى السلطة، بل مقاييس موضوعية، فالتيار الفكري الذي يؤمن بتفوق عرق معين على بقية بني البشر لا مجال للاختلاف على تصنيفه.

سار العالم على طريق توسيع دوائر مشاركة عدد أكبر من الناس في التعبير عن الرأي في أوضاع المجتمعات، فما يتخذ من قرارات له تأثير على حياة الناس، وفكرة القائد الملهم الذي يقطر حكمة وذكاء فكرة قديمة مصطنعة. ما يسمى «الحوار الاجتماعي» من أفضل الوسائل لتبادل الأفكار، وصنع القرارات لتعم الفائدة على مختلف فئات الشعب.

الحوار الاجتماعي يعني ضمن ما يعني حوار أرباب العمل مع النقابات التي تمثل العمال والموظفين، وهذا نقيض سياسة محاربة النقابات وسحب الاعتراف منها كما حدث كثيرا في الثمانينيات في بريطانيا في عهد رئيسة الوزراء مارغريت ثاتشر، التي تبنت سياسات أحدثت شرخا رأسيا في المجتمع أسهم في تحدي زعامتها لحزب المحافظين، ونتج عن ذلك تنحيتها عن رئاسة الوزراء، رغم فوزها في الانتخابات العامة ثلاث مرات متتالية.

ويعني الحوار الاجتماعي أيضا أن الحكومات تطرح السياسات التي تفكر بتبينها للنقاش وتمنح لذلك فترة كافية من الزمن، ويعتمد قصرها أو طولها على أهمية سياسة أو قانون، ومدى تأثيرهما على حياة قطاعات مختلفة من الشعب. والحوار لا يكون على صفحات الجرائد فقط، أو من خلال ظهور مسؤول حكومي على شاشة التلفزيون ليجيب عن بعض الأسئلة التي كثيرا ما تكون مطروحة للترويج للسياسة التي يراد تبنيها أكثر من إخضاعها للتحليل وإظهار العيوب وليس المزايا فقط.

لماذا لا تستخدم في العالم العربي فكرة طرح الحكومة الأوراق ليجري حولها حوار اجتماعي مثلما يحدث في بعض الدول؟ ولماذا قبل سن مشروع قانون، لا تطلب الحكومة من كل المعنيين بالأمر إرسال تعليقاتهم واقتراحاتهم وتحليلاتهم حتى لا يأتي القانون الجديد ناقصا ومليئا بالعيوب؟

ليس للحوار الاجتماعي كمفهوم موعد محدد، ونقطة بداية ونهاية، بل هو حالة دائمة لأنه جزء لا يتجزأ من أسلوب إدارة الحكم. وهو أيضا ليس معروفا تسديه الحكومة أو النظام للأحزاب أو الجمعيات الأهلية أو عموم الشعب. لا يعقل مثلا إمهال الأحزاب السياسية بضعة أيام للتوصل إلى اتفاق، وإلا...

القضايا الوطنية لا يتوقف الحوار حولها. والحوار الاجتماعي حول القضايا التي تهم شعبا بأسره، أو أمة بكاملها، لا ينجز خلال أيام، ولا ينجز بأمر من ذي سلطة لتبرير عمل مضمر يحتاج فقط إلى إخراج ليبدو كرد فعل وليس عملا مبيتا خطط له على مهل.

ذات يوم عملت في مؤسسة إعلامية تعترف بالنقابات، ولذا لم يكن من

الممكن للمدراء تغيير جدول العمل المتفق عليه دون تفاوض مسبق بين الإدارة وممثلي فرع النقابة. وكان التفاوض على هذا الأمر البسيط، مقارنة بالقضايا الوطنية، يستغرق بضعة أسابيع. وقد يتم الاتفاق على التغييرات بعد طرح الأفكار ومناقشتها، ثم طرح أفكار بديلة، وهكذا، فهذا من سمات التفاوض الذي قد يسفر عن اتفاق، وفي أغلب الأحيان هذا ما يحصل. ولكن إذا لم يتحقق الاتفاق، قد تقرر النقابة الإضراب عن العمل، وفي هذه الحالة لا يطرد من العمل من يشارك في الإضراب.

لا يعقل أن يستمر التفاوض على تغيير نوبات العمل بضعة أسابيع، في حين أن القضايا المهمة في الدول العربية لا يجرى حولها حوار، وإن جرى فهو شكلي، ولمدة قصيرة، وإذا لم يخرج بنتيجة محددة مسبقا، فهو مرفوض، ويستدعي التدخل لفرض حلول بالقوة.

تنوع التيارات الفكرية في أي مجتمع هو الأمر الطبيعي. لا توجد مجتمعات متجانسة مئة في المئة، كل أفرادها يؤمنون بالشيء نفسه، ويتصرفون بالطريقة نفسها.

وفي حال وجود قوة كبرى أو مهيمنة تفرض ما تريد على البقية، أو تعمل على إقصائها أو استئصالها، فعندئذ يكون هذا الأسلوب وصفة معروفة تاريخيا للنزاعات المتكررة في المجتمعات.

لذلك، لا بد من الاعتياد على الاختلاف في الرأي والأفكار، أولا كأفراد، وثانيا كأنظمة حكم. وهذا يحتاج إلى أسلوب حكم يعطي للفرد ما له مثلما يحدد له ما عليه، ويحدد للحكومة ومؤسساتها أطرا تعمل ضمنها.

مهما جربت الأنظمة الحكم بأساليب الماضي المعتمدة على القمع والإقصاء والاستئصال، لن تنجح إلا مؤقتا، وسيكون في انتظارها نزاع قد يؤدي إلى هزيمتها.

د. مليكة سعدي - الجزائر

تحليل سيميائي للمسار السردي
فـي رواية «الـتـبـر» لإبراهيـم الكـوني

الجزء الأول: مقدمة منهجية

=1= مفهوم السيميائية

انبثقـت السـيميائية عـن مـيراث مركـب مـن «اللسـانيات البنيويـة، ودراسـة الفولكلـور والميثولوجيـا»[1]. فالسـيميائية تركيبيـة الطبيعـة، فهـي تتركـب مـن «مفاهيـم بيولوجيـة، ومفاهيـم فيزيائيـة، ومفاهيـم الـذكاء الاصطناعي...فهاجـس التركيـب موجـود عالميـا، ولكنـه ينبنـي عـلى توحيـد ابسـتمولوجي»[2].

وتهـدف السـيميائية إلى الكشـف عـن البنيـات العميقـة المسـتترة وراء البنيـات السـطحية، وهـي تعمـل بالتفكيـك والتركيـب، وتتحـرك عـبر مسـتويين، مسـتوى سـطحي ومسـتوى عميـق، وتبحـث في كليهـما عـن الدلالـة. والدلالـة هـي شـكل وليسـت مـادة، وتقـوم عـلى مبـدأ العلاقـات.

تنطلـق السـيميائية مـن أن كل نـص لـه شـكل ومضمـون، والنتيجـة التـي تريـد الوصـول إليهـا هـي الكشـف عـن شـكل المضمـون. فالسـيميائية دراسـة شـكلانية للمضمـون، تمـر عـبر الشـكل لمسـاءلة الـدوال مـن أجـل معرفـة دقيقـة وحقيقيـة للمعنـى.

وتمـر السـيميائية بالتحليـل المحايـث، وهـو قريـب مـن الآني، أي التحليـل الـذي يأخـذ النـص في حالتـه التـي هـو عليهـا. ومـن ثـم يتطلـب الاسـتقراء الداخـلي للوظائـف النصيـة التي تسـاهم في توليـد الدلالـة، أو البحـث عـن شـكل

الوظائـف الدلاليـة داخـل النـص، أي كل مـا هـو حيثيـات سوسـيو-تاريخية. ولا يهمـه نفسـية المبـدع، فهـو يشـتغل عـلى العلاقـات المولـدة، أي إن الدلالـة لا توجـد قبـل القـراءة وإنمـا تصطنـع أثنـاء القـراءة.

وتبحـث السـيميائية عـن شـكل المضمـون عـبر العلاقـات التشـاكلية والتضاديـة الموجوديـة عـبر العنـاصر داخـل العمـل الأدبي.

وإن المتتبـع لتطـور الـدرس السـيميائي يصـل إلى أن منحدراتـه العلميـة ظهـرت في بعـض جوانبـه وبشـكل واضـح في الدراسـات اللسـانية وبوجـه أخـص في كتـاب دروس في اللسـانيات العامـة لصاحبـه فاردينانـد دي سوسـير، بحيـث «تمـت الـولادة الفعليـة للسـيميولوجية، وهـي ولادة سـبقت التنظـير الفعـلي لهـذا العلـم عـلى يـد عـالم المنطـق الأمريـكي بـيرس بصفتـه السـابق في المحاولـة وتكـرر المشـهد مـع هيلمسـيلف ضمـن مؤلفـه مقدمـات في نظريـة الـكلام، ثـم تـلاه بحـوث الشـكلانيين الـروس»[3].

السـيميائية في منطلقهـا عنـد سوسـير هـي السـيميولوجية أي العلـم الـذي يبحـث في أنظمـة العلامـات،في حـين أن اللسـانيات تـدرس الأنظمـة اللغويـة. وحـصر سوسـير هـذا العلـم في دراسـة العلامـات الدالـة ولكـن دلالتهـا اجتماعيـة. أمـا بـيرس فـيرى أن هـذا العلـم يسـمى السـيميوطيقا ويـدرس العلامـات العامـة، ويراهـا مدخـلا ضروريـا للمنطـق والفلسـفة.

وتـرى السـيميائية أن النـص هـو منجـز مغلـق يتشـكل مـن علاقـات داخليـة غـير مرئيـة تقـوم عـلى مبدأيـن: مبـدأ تشـاكلي (أي تشـابه) ومبـدأ تضـادي، ومـن هنـا تبنـى عـلى مبـدأ كبـير هـو الاختـلاف، وهـو المبـدأ الـذي كان سـببا في تطـور البنيويـة واللسـانيات.

=2= بين البنيوية والسيميائية:

عنـد الحديـث عـن المنهـج البنيـوي، نذكـر ثلاثـة أمـور: النسـق أو النظـام، السـنكرونية، العلاقـات. وهـدف السـيميائية هـو الكشـف عـن العلاقـات القائمـة وراء البنيـات السـطحية. فهـي تنطلـق مـن آخـر مرحلـة وصلهـا التحليـل اللسـاني، لأن هدفـه الأسـمى هـو المسـتوى الأفقـي للجملـة. الوظيفـة اللسـانية توزيعيـة

أفقيـة في حـين أن السـيميائية تشـتغل بشـكل أشـمل أي تبحـث عـن المعنـى الشـامل كـما يسـميه بنفنيسـت، أي البحـث عـن الـدلالات الكـبرى. وبالتـالي فـإن فضـاء السـيميائية هـو الخطـاب، وهنـا يظهـر الاختـلاف في الأهـداف.

السـيميائية تفـسر المعطيـات ثـم تـؤول العلاقـات الترابطيـة بـين الـدلالات، ثـم تتجـاوز البنيـة اللغويـة الداخليـة لتربـط بينهـا وبـين مرجعيـات الثقافـة، ومـن هنـا تسـعى للوصـول إلى الملابسـات التأويليـة المختلفـة للخطـاب. ونتيجـة لذلـك أحصـت ثـلاث اتجاهـات:

=1= السـيميائية دراسـة الأنظمـة الدالـة مـن خـلال الظواهـر الاجتماعيـة الملابسـة للنـص مـن منظـور أنهـا جـزء مـن اللسـانيات (بـارث، غريمـاس، كورتيـس).

=2= تنحصر السيميائية في دراسة أنظمة الاتصال والإبلاغ.

=3= أمـا الاتجـاه الثالـث فهـو توفيقـي، أي أن السـيميائية إبلاغيـة ودلاليـة (أمبرتـو إيكـو، جوليـا كريسـتيفا، محمـد مفتـاح، رشـيد بـن مالـك).

=3= السيميائية السردية:

يتمثـل موضـوع بحـث السـيميائيين في المحتـوى انطلاقـا مـن العلاقـة السرديـة للعلامـة اللسـانية المشـكلة مـن دال (تعبـير) ومدلـول (محتـوى)[4]. باختيارهـم للمدلـول (المحتـوى) يلغـون وبشـكل آلي الـدال (التعبـير) مـن دائـرة اهتمامهـم. ويؤكـد ذلـك شـميث في قولـه: «إن المهمـة الأساسـية للسرديـات هـي تحليـل المحتـوى بصفـة عامـة»[5].

ويؤكـد غريمـاس في مختلـف دراسـاته الفكـرة نفسـها موضحـا الهـدف الـذي تنشـده السـيميوطيقا وهـو الإمسـاك بالمعنـى أو الدلالـة، بغـض النظـر عـن المظاهـر الأخـرى التـي يتخذهـا هـذا الـسرد[6].

ويظهـر هـذا الاتجـاه المنهجـي للسـيميائيين في التركيـز عـلى المحتـوى مـن خـلال التعريـف الـذي تقترحـه جماعـة «أنتروفـرن» لمصطلـح الحكايـة، فهـو

«تتابع الحالات والتحولات المسجل في الخطاب والضامن لإنتاج المعنى»[7]. وكان من نتائج السيميائيات بحسب الوجهة الدياكرونية أن جنحت إلى تفسير القصة فعدتها «بنية سردية، أي شبكة من العلاقات الواسعة تكون على أساس البنية السطحية التي لا يظهر منها إلا جزء»[8].

ويرى كورتيس ارتباط الحكي ارتباطا وثيقا بالحكاية، وما يحددهما هو أن الحكي يتعلق بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وهذا من شأنه إحداث تحول من وضعية أو حالة إلى وضعية جديدة عن طريق التتابع[9].

وإذا كان السيميائيون يركزون على المحتوى باعتباره الماهية التي تدور حولها الدراسات ويشتغل عليها تحليل الخطاب، فإن السرديين يهتمون بالتعبير أو الخطاب الذي يستخدم كمقابل للقصة باعتباره الصورة التي يتجلى أو يتحقق من خلالها المحتوى، وبالتالي يمكن أن يقدم محتوى واحد من خلال خطابات متعددة لكل منها خصوصيته[10]. فالخلاف بين الرؤيتين واضح وعميق، حيث يعتبر السرديون الخطاب عنصرا جماليا يصل المادة الحكائية بالأدبية، في حين تخالف نظرة السيميائيين ذلك.

ويشير جيرار جينيت إلى الفرق الجوهري بين السرديين والسيميوطيقيين في قوله: «توجد الخاصية الأساسية في التركيز على الصيغة، وليس على المحتوى إذ لا وجود للمحتويات الحكائية، فهناك تسلسل أفعال أو أحداث قابلة لأن تجسد من خلال أية صيغة تمثيلية»[11].

يعتبر غريماس - وهو أحد المنظرين لعلم الدلالة البنيوي- المقصوص أو الحكي جملة هائلة، حيث يمكن أن نجد فيها كل الوظائف الكبرى التي نراها في الجملة حيث ثنائيان وأربعة حدود، فأما الثنائي الأول فهو:

فاعل -----------> موضوع، يربط بينهما التقابل على مستوى الرغبة أو البحث. ففي كل قصة هناك من يرغب في شخص أو شيء أو يبحث عنه.

وأما الثنائي الثاني فهو مساند -----------> معارض، ينوبان على المستوى السردي عن الأول، وعن الصفات في المستوى النحوي ويربط بينهما التقابل على مستوى الاختبارات، لأن أحدهما يساند الفاعل في بحثه، والآخر يعارضه[12].

يتطلب البحث المنهجي في بنية العمل السردي الروائي التمييز نظريا بين العمل السردي الروائي من حيث هو حكاية وخطاب. فهو حكاية باعتباره يثير واقعة، وبالتالي يفترض أشخاصا يفعلون الأحداث ويختلطون بصورهم المروية مع الحياة الواقعية[13]. والعمل الروائي السردي هو خطاب باعتباره يحتاج إلى صيغة تروى بها أفعال الأشخاص وترتب بها الأحداث.

وتستوجب الحكاية بواسطة الكتابة راويا يرويها، كما تستوجب قارئا يقرا ما يروي الراوي، وبذلك لا تصبح مجموعة الأحداث التي وقعت هي الأهم في العمل السردي الروائي بل كيفية الرواية، أي كيف يروي الراوي الحكاية. وهذا لا يجعل العمل الروائي حكاية وحسب، بل هو خطاب أيضا.

على أن النظر في العمل الروائي من حيث هو خطاب أو حكاية لا يعني الفصل بينهما، إنما هو منهج تقيمه الدراسة على المستوى النظري، إذ لا وجود للحكاية إلا في خطاب ولا لخطاب سردي إلا في حكاية[14].

وتتحقق الحكاية من خلال وجود العناصر الآتية في الإنتاج الأدبي:

=1= فعل أو حدث قابل للحكي.
=2= فاعل أو عامل يقوم بدور في الفعل.
=3= زمان الفعل.
=4= فضاؤه أو مكانه.

ويمكننا النظر إلى كل عنصر من عناصر الحكائية في ذاته باعتباره بنية كلية تضم بنيات جزئية في مستوى من التحليل، ويمكن أن يبحث في مستوى آخر عن العلاقات التي تربط بين مختلف هذه البنيات[15].

وغالبا ما استعمل النموذج العاملي الذي عرضه غريماس في تحليل الحكايات وكان له أهمية كبرى في الدراسات السيميائية. وقد حدد العالم اللساني تانيار فواعل ثلاثة: من يقوم بالفعل أي الفاعل في النحو التقليدي، من يتحمل الفعل أو الموضوع، وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يضر به وهو من يعبر عنه بالفاعل الثالث[16]. أما الفضلة فتشير إلى الزمان والمكان والحال.

وتخلى غريماس عن مفهوم الضحية، وأخذ مفهوم المستفيد، وقد سمى هذا الثنائي من العوامل: مرسلا ومرسلا إليه، وهما العبارتان اللتان استعارهما من جاكوبسون[17].

ويتكون النموذج العاملي لغريماس من الذات، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المساعد، الضديد وهو عبارة عن تعديل لنموذج بروب (الشخصيات الخرافية) وشخصيات المسرح سوريو ويتجلى من خلال قراءة عناصر نموذج غريماس أن التواصل والرغبة هما المحوران اللذان يدور حولهما الثنائيان: مرسل/مرسل إليه (التواصل)، وذات/موضوع (الرغبة). أما الفاعلان الجديدان فهما يوجدان عن طريق صلتهما برغبة الذات، فالمساعد يسهل رغبة الذات، والضديد يحول دون ذلك[18].

الجزء الثاني: تحليل سيميائي للمسار السردي في رواية التبر:

سنعتمد في تحليل المسار السردي وبناء الحدث على تحديد أهم البرامج السردية المنجزة من قبل الذات الفاعلة. ومفهوم البرنامج السردي هو: «تتابع الحالات وتحولاتها المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحولها، إنه التحقيق الخصوصي للمقطوعة السردية في حكاية معطاة»[19].

يفتتح نص الرواية بهذه الفقرة: «عندما تلقاه هدية من زعيم قبائل آهجار وهو لا يزال مهرا صغيرا، يطيب له أن يفاخر به بين أقرانه في الأمسيات المقمرة ويتلذذ بمحاورة نفسه في صورة السائل والمجيب: هل سبق لأحدكم أن شاهد مهريا أبلق؟ ويجيب نفسه: لا. هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا في رشاقته وخفته وتناسق قوامه؟ لا. هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا ينافسه في الكبرياء والشجاعة والوفاء؟ لا. هل سبق لأحدكم أن رأى غزالا في صورة مهري؟ لا. هل رأيتم أجمل وأنبل؟ لا لا لا. اعترفوا أنكم لم تروه ولن تروه»[20].

تتضمن هذه الافتتاحية بالتعبير السردي السيميائي وظيفة اتصال.

اتصال: أوخيد/المهري الأبلق

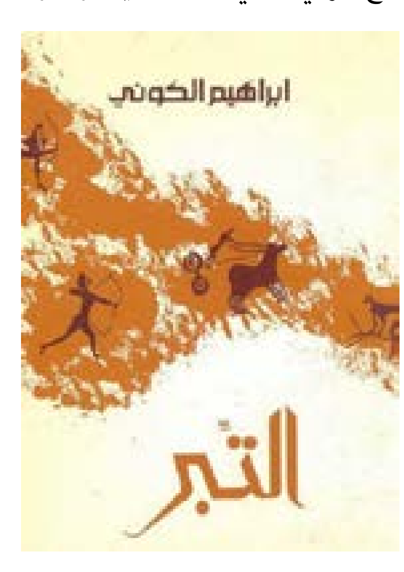
وتنشأ علاقة صداقة وثيقة بين أوخيد وهذا المهري. وتقوم الذات الفاعلة (أوخيد) ببرنامج سردي جزئي ليعبر من خلاله عن حبه للمهري وانبهاره به. وموضوع قيمته هو طلب قصيدة مديح للمهري من الشاعرة.

اتصال: أوخيد/الشاعرة

النتيجة: رفض الشاعرة وتأجيل الأمر إلى أن يشتهر المهري في معركة أو في حفلات الرقص.

وينتهي هذا البرنامج بفصلة بين الذات الفاعلة و موضوع القيمة. وتبدأ الذات الفاعلة في إعداد الوسيلة للحصول على موضوع القيمة، ويكون المساعد هم الفرسان الذين أوكل لهم مهمة ترويض المهري و تدريبه، أما التدريب على الرقص فاعتنى به بنفسه.

وتقوم الذات الفاعلة (أوخيد) ببرنامج سردي جزئي آخر سعيا للوصول إلى موضوع القيمة السابق و هو اشتهار المهري ليحظى بقصيدة المديح.



المساعد: «السرج صنعه أمهر الحدادة في غات، والفرش كليمة مزركشة جاء بها التجار من توات، والشكيمة ظفرتها عجائز قبيلة ايفوغاس في غدامس، والجراب طرزته أنامل حسناوات تامنغاست» (الرواية ص 9).

وتؤدي هذه الأدوات وظيفة سيميائية تتمثل في التعريف بقيمة المهري عند صاحبه وأهمية الدور الموكل إليه في حلقة الرقص.

المعوق: «أما السوط فهو قطعة نادرة مغطاة بخيوط الجلد التي نقشت عليها تمائم السحرة في كانو. ويعتقد الحكماء في القبيلة أن السوط دسه له الحساد من أقرانه، فلعب دوره في التخريب والترتيب للفضيحة» (الرواية ص 9). وتتضمن هذه الفقرة سابقة فهي تعرف بالنتيجة قبل الوصول إليها في الحكي.

لم تصل الذات إلى موضوع قيمتها (شهرة المهري) بل انتهت بفضيحة المهري وصاحبه في حلقة الرقص. ويستمر أوخيد في صداقته مع المهري الأبلق، ويتابعان حياة اللهو معا إلى اليوم الذي يصاب فيه المهري بالجرب.

استقرار - - - - - - - - - - -> فقدان التوازن

وضع ابتدائي - - - - - - - - - - -> مرض المهري

ولاسترجاع التوازن تقوم الذات الفاعلة (أوخيد) ببرنامج سردي موضوع قيمته هو علاج المهري وإنقاذه من الموت.

الرغبة: علاج المهري

التحيين: الاتصال بالحكماء للبحث عن علاج.

اتصال: أوخيد/الشيخ موسى، تكون نتيجته الإفصاح عن سر علاج المهري، وهو نبتة آسيار، ولكن يحذره المساند (الشيخ موسى) من احتمال جنون المهري.

ولا تصل الذات في هذه المرحلة الأولى إلى موضوع قيمتها (شفاء المهري) لصعوبة العلاج ومخاطره. وتستمر الذات الفاعلة في البحث عن موضوع قيمتها، وتكون الوسائل المساعدة في هذه المرحلة: زيت غريان ثم مرهما من الأعشاب، ولكن النتيجة دائما هي عدم الوصول لموضوع القيمة، فلم يتحقق شفاء المهري بل ازدادت حالته سوءا.

وتبين هذه الحركات السردية وظيفة (خروج) الذات الفاعلة من مرحلة حياتية إلى مرحلة أخرى، من مرحلة المغامرات والاستمتاع والتباهي بالمهري إلى مرحلة المعاناة في سبيل إنقاذه وتحمل كل التجارب القاسية ونظرات الشفقة، فقد تحول المهري إلى رمادي مبقع بالظلمة. كما تبين هذه الحركات دخول الذات الفاعلة (أوخيد) في اختبار. اختبار حبه وصداقته للمهري وقدراته على إنقاذه والحفاظ عليه.

تقوم الذات الفاعلة بوظيفة (خروج) إلى الحمادة الحمراء، وهو عبارة عن اتصال مكاني هدفه تنفيذ العلاج الذي وصفه الشيخ موسى في المرحلة الأولى وهو نبتة آسيار المهددة بالجنون، فهي إذن موضوع القيمة الابتدائي للوصول إلى موضوع القيمة الأساسي.

وفي طريقه قصد أوخيد النصب الوثني ونذر له جملا سمينا كي يشفي

مهريـه الأبلـق ويحميـه مـن جنـون آسـيار، ثـم واصـل الرحلـة إلى قرعـات ميمـون حيـث تنبـت آسـيار.

واتصلـت الـذات الفاعلـة (أوخيـد) بموضـوع قيمتهـا (نبتـة آسـيار). ربـط الجمـل وتركـه يرتـع في حقـل مـن آسـيار. وتقـود هـذه الحركـة إلى برنامـج سردي آخـر هـو مطـاردة المهـري الأبلـق بعـد أكلـه لنبتـة آسـيار وتفاعلهـا مـع مرضـه، حيـث ظهـرت عليـه حـركات جنونيـة مـن الألم قابلهـا أوخيـد بالصـبر والمواسـاة والحـزم. ويتمكـن مـن الحفـاظ عـلى رفقتـه بعـد رحلـة شـاقة.

الذات الفاعلة: أوخيد

موضوع القيمة: الإمساك بالمهري والحفاظ عليه .

المعيق: قوة المهري ووعورة الطريق التي يسلكها.

المساند: الصبر والدعاء والشجاعة والأساطير المضادة للعار.

النتيجة: وصلة بين الذات الفاعلة والموضوع.

وتقيـم الـذات الفاعلـة عقـدا يتمثـل في عهـد الأخـوة والوفـاء الأبـدي بـين أوخيـد ومهريـه الأبلـق الـذي فقـد لونـه أثنـاء العـلاج.

اتصال: أوخيد/الشيخ موسى

سبيل استرجاع لون المهري الأبلق

- ->

المرسل . . . . المرسل إليه

<- -

أوخيد . . . . إخصاء المهري . . . . الشيخ موسى

وبتنفيـذ الوسـيلة المقترحـة مـن الشـيخ مـوسى تصـل الـذات الفاعلـة إلى موضـوع قيمتها .

الذات الفاعلة - - - - - - - - - - - - -> موضوع القيمة

أوخيد . . . . رجوع لون المهري الأبلق

المساند: رعاة القبيلة

وتعـود الـذات الفاعلـة إلى الرغبـة في موضـوع القيمـة الأول وهـو شـهرة الأبلـق في حلقـات الرقـص ليحظـى بقصيـدة مديـح. ولا تصـل الـذات لموضـوع قيمتهـا بـل ينتهـي البرنامـج بفصلـة ويحصـل عكـس رغبـة الـذات، إذ يقابـل الأبلـق بقصيـدة

هجـاء لأنـه انتقـم مـن صاحبـه بفضحـه في حلقـة الرقـص. وتقـوم الـذات الفاعلـة بوظيفـة اتصـال، وهــي أيضـا وظيفـة خـروج مـن مرحلـة حياتيـة إلى مرحلـة أخـرى هــي الـزواج.

اتصال: أوخيد/الحسناء المهاجرة أيور

ويكون موضوع القيمة في هذا البرنامج هو الزواج بالحسناء.

رغبة الزواج بالحسناء المهاجرة

<- -

المرسل . . . . المرسل إليه

- ->

أوخيد . . . . لا بارك الله لك فيها . . . . والده

وبـزواج أوخيـد يتخـلى عـن الوفـاء بنـذره للـولي الصالـح، فيذبـح الجمـل المحجـوز كقربـان ليلـة عرسـه.

وتكـون نتيجـة هـذا البرنامـج الـذي اتصلـت فيـه الـذات (أوخيـد) بموضـوع قيمتهـا (الـزواج بالحسـناء) أن يتـبرأ الوالـد منـه ويحرمـه مـن المـيراث، فيقـوم بوظيفـة انفصـال مـكاني، فيغـادر القبيلـة إلى حـدود فـزان.

وترغـب الـذات الفاعلـة (أوخيـد) في موضـوع قيمـة جديـد هـو المشـاركة مـع الأبلـق في مقاومـة غـزو الطليـان، ولا يتصـل بموضـوع القيمـة هـذا، فقـد انكـسرت المقاومـة في الحـمادة وانتـشر الجـدب والفقـر.

اتصال: أوخيد/قريب زوجته التاجر دودو

النتيجـة: يـترك لـه التاجـر الضيـف كيسـين مـن تمـر وشـعير يسرقـان منـه ويـترك لـه السـارق رمـز مثلـث تانيـت الـذي يذكـره بحنثـه لنـذره إلى النصـب الوثنــي الآلهـة تانيـت.

وتقـوم الـذات الفاعلـة (أوخيـد) بمجموعـة مـن البرامـج السرديـة موضـوع قيمتهـا هـو إنقـاذ العائلـة الصغـيرة مـن الجـوع سـنوات الجـدب والحـرب.

اتصال: أوخيد/بائع الزيت، النتيجة رفض إقراضه.

اتصال: أوخيد/أحد الفلاحين، النتيجة اقتراح حل صعب.

بيع المهري الأبلق لمقاومة الجوع

<- -

المرسل . . . . المرسل إليه

- ->

الفلاح . . . . الغضب والرفض الشديد . . . . أوخيد

نحر المهري لسد الجوع

<- -

المرسل . . . . المرسل إليه

- ->

الزوجة أيور . . . . غل على المرأة والطفل والدنيا . . . . . . أوخيد

ترغب الذات الفاعلة في موضوع قيمة هو سد حاجيات الأسرة والمساند هو رهن المهري الأبلق مقابل استدانة جملين من التاجر دودو. وبهذا تؤدي الذات وظيفة انفصال. ينفصل أوخيد عن المهري الأبلق الذي يأخذه التاجر رهنا. ويحصل اتصال يضع الذات في اختبار.

اتصال: أوخيد/راعي التاجر دودو قريب الزوجة أيور.

تطليق الزوجة شرط إرجاع الأبلق

<- -

المرسل . . . . المرسل إليه

- ->

التاجر دودو . . . . غل الغضب . . . . أوخيد

وتقوم الذات الفاعلة بوظيفة خروج أو انفصال تتمثل في الهروب من المهري الأبلق تفاديا للعار. وبذلك تحصل الفصلة بين الذات الفاعلة (أوخيد) وموضوع القيمة الأساسي (الحفاظ على الأبلق). ولا يحافظ أوخيد على العقد أيضا.

ولا تلبث الذات الفاعلة أن تقوم بحركة سردية معاكسة يكون موضوع قيمتها استرجاع المهري الأبلق وفك رهنه، والمساند هو طلاق الزوجة

والتنـازل عـن الولـد، وبذلـك تجـدد العقـد السـابق. وينتهـي البرنامـج بوصلـة.
اتصـال: أوخيد/أحـد الرعـاة، تكـون نتيجتـه وصـول شـائعة تقـول ببيعـه لزوجتـه وابنـه مقابـل حفنـة تـبر.

وترغـب الـذات الفاعلـة (أوخيـد) في موضـوع قيمـة جديـد هـو تصحيـح الخطأ والقضاء عـلى الشـائعة، فيقـوم بوظيفـة خـروج إلى واحـة التاجـر دودو. ولا تصـل الـذات الفاعلـة إلى موضـوع قيمتهـا بقتـل الـذات الضديـدة (التاجـر دودو) لأن العـار لا يمحـوه الـدم.

وترغـب الـذات الفاعلـة في التحـول إلى حيـاة أخـرى هـي الاعتـزال مـع الأبلـق. ولكـن الـذات الضديـدة (أقـارب القتيـل) يقومـون ببرنامـج سردي موضـوع قيمتـه الثأر مـن القاتـل أوخيـد ومسـاند الضديـد هـو الذهـب الـذي اسـتعملوه في رشـوة الخـبراء للوصـول إليـه.

ويكـون موضـوع قيمـة الـذات الفاعلـة هـو الهـروب والمحافظـة عـلى الحياة، والمسـاند هـو الصـبر والمعـارض هـو التـبر الـذي يسـعى المنتقمـون للظفـر بـه. وفي محـاولات هـروب أوخيـد يجـدد عقـده مـع الأبلـق بأنهـما لـن يفترقـا أبـدا بعـد مـرور هـذه المحنـة «عندمـا ينقشـع الهم سـنلتقي مـرة أخـرى» (الروايـة ص 145).

وينجـو أوخيـد مـن المطارديـن بفضـل ودان الجبـل الـذي ضللهـم وقتـل بـدلا منـه. وبوصـول الـذات الفاعلـة لموضـوع قيمتهـا (النجـاة) تنفصـل الـذات الضديـدة عـن موضـوع قيمتهـا (الثـأر والـثروة).

وتقـوم الـذات الضديـدة بحركـة سرديـة جديـدة موضـوع قيمتهـا الوصـول للغريـم أوخيـد ويكـون المسـاند تعذيـب الأبلـق. فتقـوم الـذات الفاعلـة (أوخيـد) بوظيفـة (خـروج)، الخـروج مـن المخبـأ لافتـداء صديقـه الأبلـق (موضـوع قيمتـه الدائـم). وبهـذا البرنامـج تصـل الـذات الفاعلـة (أوخيـد) إلى موضـوع قيمتهـا (الحفـاظ عـلى حيـاة الأبلـق)، ويكـون المسـاند التضحيـة بالنفـس ولقـاء المـوت.

والملاحـظ أن أغلـب البرامـج السرديـة التـي قامـت بهـا الـذات الفاعلـة (أوخيـد) كان موضـوع قيمتهـا متعلقـا بالمهـري الأبلـق: شـهرته، علاجـه، شـفاؤه، حمايته...أمـا البرامـج والحـركات التـي قـام بهـا أوخيـد لحياتـه الخاصـة فهـي قليلـة جـدا مـما يـدل عـلى أن الروايـة تريـد أن تؤكـد عـلى قيمـة الحيـوان في حيـاة البـدوي الصحـراوي وارتباطهـما الوثيـق بعلاقـة تصـل إلى الصداقـة والأخـوة

وفـداء كل منهـا للآخـر. كـما تدافـع عـن التضحيـة بالمـادي لصالـح الرمـزي وانتصار الحيـاة الروحيـة الصوفيـة عـلى الماديـة الاجتماعيـة.

وسـميت هـذه الروايـة بالتـبر وهـو بـرادة الذهـب عـلى الرغـم مـن أن ذكـره لا يـأتي إلا في آخـر الروايـة- والذهـب في عـرف الصحراويـين معـدن منحـوس ملعـون تصيـب اللعنـة كل مـن يتعامـل بـه. وسـميت الروايـة بالتـبر لأنـه يـؤدي الـدور الهـام في تحويـل مسـار الحكايـة ونهايـة شـخصياتها، وتتمثـل بـؤرة الـسرد في لحظـة اسـتلام أوخيـد حفنـة التـبر هديـة مـن غريمـة، فيكتـب المـوت لكليهـما.

= = =

ملاحظـة: نـشر هـذا البحـث أول مـرة في «عـود النـد» في العـدد 48 (حزيـران-يونيـو 2010). تتضمـن النسـخة المنشـورة في موقـع المجلـة رسـمين بيانيـين.

= = =

الهوامش

1= Gréimas et Landowski: introduction à l’analyse du discours en s .sociales, Gallimard, 1980, p05

2= محمد مفتاح: مجلة دراسات سيميائية، العدد 1، 1987، ص 15

3= بوخاتـم مـولاي عـلي: مصطلحـات النقـد العـربي السـيماءوي الإشـكالية والأصـول والامتـداد، منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشـق، 2005، عـن موقـع اتحـاد الكتـاب العـرب الإلكـتروني

4= Luis Hjelmslev: Essais linguistiques, les éditions de Minuits, Paris, 1971, p. 35

5= يقطـين سـعيد: قـال الـراوي، البنيـات الحكائيـة في السـيرة الشـعبية، المركـز الثقـافي العـربي، بـيروت، 1997، ص 14

6= Gréimas: Du sens, essais sémiotiques, Seuil, Paris, 1970, p. 158

7= Groupe d’entre vernes: Analyse sémiotique des textes, presses universitaires de Lion, 1984, p. 14

8= بوحــوش رابــح: الأســلوبيات و تحليــل الخطــاب، منشــورات جامعــة باجــي مختــار، عنابــة، ص 42-43

9= Courtes: Analyse sémiotique des discours, Hachette, Paris, 1990, pp. 70-72

10= سعيد يقطين: قال الراوي، ص 16

11= G-Génette: Nouveau discours du récit, Seuil, Paris,1983, p. 12

12= Greimas: Sémantique structurale, recherche de méthode, Librairie Larousse, Paris,1966, p.180

13= يمنــى العيــد: تقنيــات الــسرد الــروائي في ضــوء المنهــج البنيــوي، سلســلة دراســات نقديــة، الفــارابي، 1990، ص 27

14= شرشــار عبــد القــادر: تحليــل الخطــاب الأدبي و قضايــا النــص، منشــورات دار الأديــب، وهــران، ص 57

15= سعيد يقطين: قال الراوي، ص 19-20

16= رومــان غــودور: تحديــد النمــوذج الفاعــلي، ترجمــة أحمــد الســمادين مجلــة دراســات مغاربيــة، العــدد 8، الــدار البيضــاء، 1998، ص 24

17= Greimas, Courtes: Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, 1979, p. 49

18= Greimas: Sémantique structurale du récit, p. 180

19= رشــيد بــن مالــك: قامــوس مصطلحــات التحليــل الســيميائي للنصــوص، دار الحكمــة، 2000، ص 148

20= إبراهيم الكوني: التبر، دار التنوير للطباعة و النشر، ط03، بيروت، 1992

هدى أبو غنيمة - الأردن

قراءة في رواية «كل المعارك» لمعن أبو طالب



لما اعتبرت الكتابة فعل اقتحام للتقليدي والسائد، وتأكيدا لمعاني الحرية والاستقلالية الفردية، فإن أساليب التعبير عند جيل الشباب لا بد أن تختلف في موضوعاتها وتقنياتها التعبيرية عما كان مألوفا لقارئي الأدب.

لم يعد ممكنا أن يكتب الشباب أدبا بذات الأسلوب البلاغي المألوف في الأدب العربي، والتعبير عن هويتهم، دعما لأحلام الاستقلال التي لاحت في أفق مرحلة التحرر من الاستعمار، بل تحرروا من رؤية العالم بنظرة أحادية مؤطرة بالأيديولوجيا، وواجهوا الحاضر بأساليب ومضامين تعبر عن عصر ثورة الاتصالات وآليات إنتاج المعرفة وتواكب إيقاع العصر.

رواية «كل المعارك» للكاتب الأردني المقيم في بريطانيا، معن أبو طالب، هي أول رواية له، لكنها رواية خارجة عن المألوف بمضمونها وأسلوب سردها البصري «من خلال ما أسمته ميكي بال بوصفها مؤرخة وناقدة للثقافة البصرية ما أسمته تحديد البؤرة، أي التركيز على القصة من خلال عوامل فاعلة نوعية أو وجهات نظر خاصة، وتبدأ عملية تحديد البؤرة من السارد وبالسارد، ولكنها لا تنتهي عنده، ومن المحتمل بالنسبة إلى السارد بدوره أن يروي القصة من وجهة نظر واحدة أو أكثر من شخصياتها»[1].

تعكس الرواية قلق الشباب وسأمهم من محيط لا يلبي احتياجاتهم الفكرية والوجدانية ولا تطلعاتهم. ولعل العبارتين اللتين وضعهما الكاتب

في أول الرواية توحيان بذلك. يقتبس الكاتب عبارة من الكتاب المقدس للقديس يوحنا الفصل الثالث 16: «ولكن، بما أنك فاتر، لا حار ولا بارد، فقد أوشكت أن أتقيأك من فمي». ثم يضع اقتباسا آخر:

> «خواص الوجه والجهاز المضغي التي تميز ملامح شبيه الإنسان المبكر لم تكن بالضرورة تكيفا لمتطلبات مضغ حمية صلبة أو قاسية، بل كانت لحماية الوجه من الإصابة أثناء اقتتال الذكور باستخدام القبضات». («التدعيم الوقائي لوجه شبه الإنسان المبكر». كامبردج بيولوجيكل ريفيو 2014).

بؤرة السرد في الرواية حلبة الملاكمة وعالمها بتفاصيله الدقيقة وتقنيات المواجهة بين خصمين. أليس العالم اليوم حلبة ملاكمة؟ ألا تشهد المجتمعات الإنسانية تحولات في الثوابت والمفاهيم والعلاقات الإنسانية، واتخاذ العنف وسيلة للحوار؟ وكأننا في تصوير الكاتب الدقيق لتقنيات اللعبة ندخل عالما مختلفا عما نراه متلفزا ولا نعرف أسراره يصفه الراوي على النحو التالي:

«وجد سائد النادي خاليا، لا صوت فيه إلا صوت المروحة تلتف فوق الحلبة، وضع حقيبته بهدوء، وتأمل أكياس اللكم المشقوقة والأثقال القديمة والقفازات المبعثرة التي تنبعث منها رائحة العرق. شعر أنه في مكان مختلف عن كل ما هو خارجه. مكان كل شيء فيه واضح، الفوز والخسارة، القدرة والموهبة والقوة والضعف تظهر كلها هنا بلا لبس. لا مكان هنا للهيام بالرماديات» (الرواية ص 111).

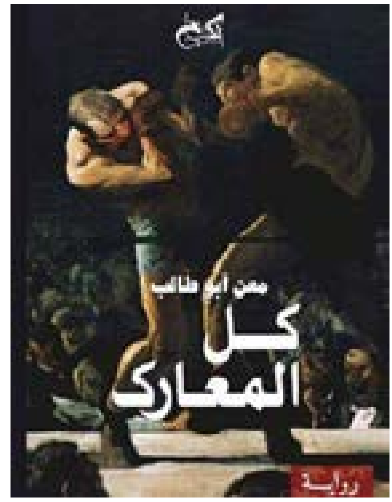
تدور أحداث الرواية حول شاب ذي مستقبل واعد في شركة دولية مرموقة، يجد نفسه متأرجحا بين عالم المال والأعمال، وعالم الحلبة مصورا فساد العالمين حينما يصبح الإنسان سلعة وورقة رابحة، وإن كان في عالم الملاكمة أكثر وضوحا، ومواجهة الخصم تتطلب تقنية وفكرا وتدريبا، بينما عالم المال والأعمال متاهة تستخدم فيها كل الصفقات والأساليب الملتوية. يحقق الشاب نجاحا على الصعيدين، لكن الملاكمة تستحوذ على تفكيره، وتهدد مستقبله الوظيفي والشخصي، وتكشف له أيضا عن ثنايا ماضيه وتجعله يسائل مكانه في سلالة المقاتلين من آبائه وأجداده.

تمـور الروايـة بالحركـة وإيقـاع العـصر السريـع، وتتخـذ مـن الشـخصية الرئيسـة سـائد حبجوقـة، الشركـسي ذي المـاضي الفـروسي المنحـدر إليـه مـن آبائـه وأجـداده، موازيـا ذا بعـد إنسـاني للعـربي المهجّـر مـن أرضـه مثلـما هاجـر الشركـس مـن وطنهـم.

وقـد بـدت لي نهايـة الروايـة تتمـة للعنـوان «كل المعـارك» وكأن السـارد يعـبر عـن الإنسـان الـذي يخـوض كل المعـارك في عـصره إلا معركـة تحريـر بـلاده، فيقـف عـلى الجـسر ممنوعـا مـن العبـور في عـصر تدعـي فيـه القـوى المهيمنـة أن لا حـدود ولا فواصـل باسـم الحريـة والديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان.

بعـد أن انتهيـت مـن قـراءة الروايـة حاولـت أن أجـد تعليـلا مقنعـا لحسـية اللغـة وبذاءتهـا الصادمـة المتداولـة في الشـارع، وخلـو لغـة الـسرد مـن أي تنميـق لفظـي أو زخرفـة تصويـرا لحقيقـة الواقـع الاجتماعـي واحتجاجـا عـلى البـذاءة والفكـر الـذي سـعى إلى مصـادرة اللغـة والتفكـير لتصبـح الأرض مفتوحة أمـام غول رأسـمالي يجتـاح العـالم ويخـدم أصحـاب رأس المـال العالمـي الذيـن صـادروا اللغـة والتفكـير وحولـوا الإنسـان إلى سـلعة تسـتباح بالكيفيـة التـي تخـدم مصالحهـم.

= =



أبـو طالـب، معـن. «كل المعـارك». 2016. القاهـرة: الكتـب خـان. ويشـار إلى أن الروايـة أنجـزت بدعـم مـن برنامـج آفـاق لكتابـة الروايـة الـذي أقيـم بالشراكـة مـع محـترف الروائيـة اللبنانيـة، نجـوى بـركات، في دورتـه الثالثـة التـي أقيمـت في ربيـع 2015.

[1] عبـد الحميـد، شـاكر. عـصر الصـورة: السـلبيات والإيجابيـات. 2005. الكويـت: المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب.

مرام أمان الله - فلسطين

علاقة سرّية



عن العلاقة بين الإنسان والمكان يكثر القول. بينهما سرٌّ لا يدركانه إلا إذا افترق أحدهما عن الآخر، وكأنّ العلاقة تبقى سريّة إلى أن يبوح بها الفراق. هذا ما كان يجول في خاطرها عندما قررت أن تبحث عن كتاب تصبّ فيه جنون «غربتها» وصمت الجدران.

لم تكن القراءة التي لطالما أحبتها هي الهدف الرئيس وراء البحث، لأنها كانت تبحث في بطون الكتب عن أنيسٍ تستحضره متى شاءت، وتجتثه من المشهد وقتما تشاء.

راحت تتهاوى الكتب واحدا تلو الآخر، بين يديها إذ كانت تتصفح على عجل بغية العثور على أنيسها المختبئ في إحدى الصفحات دون جدوى.

إلى أن قررت أخيراً أن تصنعه بنفسها لكي تضمن رسمه وتفصيله بعناية وفق حاجتها للبوح. وقد كان. ففي كل يوم كان يتحول أنيسها إلى شخصية قادرة على الإصغاء ولكنّه في معظم الأحيان كان عاجزاً عن الرد على تساؤلاتها التي لا تنتهي.

وكأي علاقة بين اثنين ظلت علاقتها بالمكان تتراوح بين المدّ والجزر، فتارةً تشعر بالانتماء لتلك المدينة الكبيرة الصاخبة، وتارةً أخرى تنأى بنفسها عن الواقع الذي كان ينأى بمعطياته عن أحلامها. إلى أن قررت الرحيل دون أدنى تردد. لم تكن تدرك أنّ تغيير المكان لا يعني فقط تغيير المحيط بما فيه، فقد وجدت شيئاً فشيئاً أنّها أمام حاجة ماسة لعملية بناء لكل شيء من عدم، وذاتها أيضاً.

كان المـكان الجديـد قاسـياً جـداً عليهـا، إذ لم يـدرك أحلامهـا التـي عاشـت معهـا سـنين طويلـة، ولم يلتفـت حتـى إلى ملامحهـا التـي مـا زالـت تخفـي طفولـةً شـقية. لم يكـن يصغـي إلى أيّ مـن دندناتهـا كلـما غنـت فـيروز، لقـد أصبـح للقهـوة رائحـة أخـرى لا تشـبه الصبـاح.

أخـذت تتجـول في شـوارع المدينـة الجديـدة كظلٍ ذاب في فيء تلـك الأبـراج التـي تعانـق السـماء. كل شيء غريـب عنهـا، وغريبـة هـي عنـه. تيـارٌ جـارف لامتـزاج ثقـافي، عرقـي، لغـوي معقـد البنـاء. لم يكـن أمامهـا في بدايـة الأمـر إلا مراقبـة المشـهد مـن الخـارج، فقـد انتابهـا الخـوف مـن الانصهـار بـين الهويـات لـكي لا ينتهـي بهـا الأمـر إلى «الـلا هويـة».

ولكـنّ مقاومـة الانصهـار مـع المحيـط ليسـت حتـما الحـل الأمثـل، لأنّ الوجـود في مـكان مـا يعنـي بالـضرورة التحـول إلى جـزء منـه بشـكل أو بآخـر، والمقاومـة العنيفـة لـه تعنـي بالـضرورة أيضـاً ضيـاع العلاقـة مـع المـكان وبالتـالي ضيـاع الإحسـاس بالوجـود.

إنّ الاعـتراف بالحقيقـة أو التسـليم بهـا لربمـا مـن المهـارات التـي يصعـب عـلى الكثيريـن إتقانهـا. لم يكـن إلا أن تملّكهـا شـعور الحنـين إلى مدينتهـا الأولى، التـي كانـت تظنهـا «كبـيرةً وصاخبـة». فقـد تبـين لهـا أن في هـذا الكـون مـا قـد ينسـف كل المعايـير في حـال أبصرتـه العـين أو ارتقـى إلى مسـتوى الإدراك. ذلـك الحنـين الـذي ينتـاب العشـاق لحـب قديـم عندمـا تقسـو عليهـم الحيـاة.

ولكـنّ حنينهـا هـذا لم يكـن المنقـذ لهـا مـن قسـوة المـكان، بـل عـلى العكـس، أخـذ يعذبهـا بتفاصيـل لم تكـن تفضي لهـا بـالاً آنـذاك. راحـت تبحـث في الجديـد عـن قديمهـا الـذي رحلـت عنـه، عـن فـوضى ذلـك الوطـن، عـن الوجـوه التـي لم تحبهـا يومـاً، عـن الأرصفـة المـلأى بـأوراق الشـجر، عـن الأطفـال الذيـن كانـوا يبيعـون قصاصـات مـن الأدعيـة عـلى إشـارات المـرور، حتـى أنّهـا أخـذت تبحـث عـن الاحتقانـات المروريـة التـي كانـت تستشـيطها غضبـاً أثنـاء قيادتهـا صباحـاً ومسـاء. قـد يبـدو ذلـك ضربـاً مـن الجنـون، ولكنـه باعتقـادي نـوع مـن اسـترجاع الـذات أو الصـورة التـي مـن خلالهـا كانـت تتعـرف إلى دواخلهـا.

هنـا، في المـكان الجديـد يخيـم الصمـت. فـكل مـا حولهـا لا يريدهـا. حتـى البنايـات الشـاهقة والمبهـرة لم تبخـل عليهـا بالنكـران، فكلـما كانـت تتأمـل عـمارة

المكان المبهرة كانت المسافة بينها وبين المكان تزيد أميالاً، فكل ذلك كان بالنسبة إليها صوراً صامتة ألصقت على عينيها فلا هي ترى غيرها، ولا هي قادرة على إبعادها عن مدى رؤياها.

لكن، منذ متى كان المكان هو المسؤول عن تقصير المسافات بينه وبين الفرد؟ ومن هو المسؤول عن خلق العلاقة بين المكان ومن يعيشون فيه؟ وكيف تكون البداية؟ هل من الممكن الاندماج مع المكان ومعطياته في أي لحظة بغض النظر عن أسباب أو أهداف التواجد فيه؟ ما معايير فشل تلك العلاقة وما مدى احتمالية وقوعه؟

كل تلك الأسئلة وأكثر كانت تؤرقها في كل وقت. فهل الانتماء للمكان يكمن في بناء علاقات إنسانية؟ أم أنه يبدأ من الألفة بتفاصيله الجغرافية أولا؟ هل «الغربة» هي التعبير الأدق عن حالة عدم الاندماج مع المكان أم أنها تعبر أكثر عن الحنين للمكان الأسبق بغض النظر عن الحالة المعاشة؟ أم قد يكون «الوطن» هو المفهوم الأكثر دقة للتعبير عن العلاقة الناجحة مع المكان بصرف النظر عن كونه مسقط الرأس أم لا؟

بعدما أنهكها التعب، قررت عدم الانتظار والبدء في مقاومة «مقاومتها» للانصهار. لأن الانصهار ليس بالضرورة ضياع الهوية، وأي هوية؟ فهل نولد جميعاً بهويات مثالية، أم أنّها جميعا تفرض علينا دون أن نفكر فيها أو نفكك أسرارها؟ من منا ولد دون هوية ونال حرية بناء هويته بمعزل عن التشابكات الخطابية التي تحدد ملامحنا على كل المستويات؟

إنها فكرة في غاية الخطورة والحساسية في آن، لكنها قد تغدو بسيطة إذا ما تم تفكيكها بعناية، ففكرة بناء الهوية لا تعني ضياع الذات، وقد تعني ذلك إذا كانت عملية بنائها أو إعادة صياغتها عشوائية وغير ممنهجة. فتقبل الآخر المختلف مثلا لا يعني الانصهار فيه، كما أنّ إدراك الجوانب المشرقة في الأشياء لا يعني التعامي عن الأخرى الظلامية.

كل علاقة بين المكان والإنسان تبدأ بنية. تماماً كما العلاقات الإنسانية التي تتولد بنوايا تهدف إلى تحقيق مبتغيات شتى؛ كالشراكة، الصداقة، التفاهم، الانسجام وغيرها الكثير. لا تنشأ العلاقة بدون فكرة أو حاجة.

مـن هنـا كانـت فكـرة «الانتـماء» للمـكان هـي البدايـة. هـي تعلـم تمامـاً أن وجودهـا فيـه غـير واضـح الأمـد، وتـدرك أيضـاً أنهـا قـد تفشـل في كـسر الحواجـز أو قتـل «الغربـة»، إنمـا راح جـل إصرارهـا عـلى هزيمـة ذاتهـا الرافضـة للانصهـار وفقـط.

«وفي هزيمـة الـذات الرافضـة للفكـرة تلك يتدخـل كل شيء. وتحتـار النزعات والدواخـل في تحديـد المـراد. ولكـنّ الحسـم في كل تلـك الفـوضى الفكريـة يكمن في الوقـوف عـلى الحـد الفاصـل بـين المكانـين». هـذا فقـط مـا نطقـت بـه شـخصيتها الخياليـة التـي صنعهـا قلمهـا في بدايـة النـص.

محسن الغالبي - السويد

هـــــوس شــرقـــي



غــادرت البيــت في طريقــي إلى مطــار بغــداد متوجهـا إلى مطـار ثالـث عـبر مطـار ثـان كنـت أحـب المكـوث فيـه بضـع سـاعات أراقـب فيـه شـكلا آخـر مـن الحيـاة مختلفـا عـن الأول والثالـث. صفعنـي بعـض الحنـين لمـن تركتهـم في البيـت ولم أشـعر بـشيء تجـاه البيـت. لم يكـن بيتـي عـلى أيـة حـال. كنـت متوجهـا إلى بيـت آخـر لا أشـعر تجاهـه بـشيء البتـة، فهـو الأخـر لم يكـن بيتــي.

كانــت الأخبــار تحتمــل إغــلاق الشــوارع المؤديــة إلى مطــار بغــداد. بعــض الســفلة اعــترض عــلى الســفلة الذيــن يمســكون زمــام الأمــور. اللصــوص الذيــن كانــوا يصلّــون ويقاتلــون، حصلــوا عــلى الســلطة أخــيرا فعــادوا إلى ســابق عهدهــم لصوصــا. ولصــوص جــدد يحاولــون أزاحتهــم عــن الســلطة كي يسرقــوا مــا تبقــى. مــرت الأمــور بســلام ووصلــت المطــار. لم يتغــير الكثــير؛ ضوضــاء بــلا جــدوى.

حلقنـا سـاعتين وربـع سـاعة لنهبـط في المدينـة الرائعـة التـي لا تشـبهها كل المـدن. المدينـة الوحيـدة التـي تسـتقر بشـطري أسـتها على قارتـين ليعبر البوسـفور مـن بينهـما يغسـل أدرانهـما قادمـا مـن الأسـود نحـو مرمـرة. كـم كنـت أتمنـى لـو أتيـه في تلـك المدينـة لعامـين أو أكـثر، أطـوي شـوارعها بـلا هـدى، أدلـف كل أسـواقها، أتـذوق كل مطاعمهـا، أحـدق في كل العيـون التـي أصادفهـا، وأرسـم انحنـاءات أجسـاد اللـواتي يعـبرن عـلى جسـدي.

أدخل كل المطارات

أسأل كل الفنادق عنكِ

فقد يتصادف أنك فيها (1)

وأشتري كل الحلي وأدّخرها، وإن فرغت جيوبي تسولت، فإن للتسول في بعض المدن لذة لا تضاهى، وإن التسول في مدن أخرى هو الموت والعار معا. تساءلت لحظتها: هل يعرف الذين يقبعون في الصوامع والجوامع ويوصلون الليل بالنهار كيف يشعر المتسول في «مدن التيه»(2)؟

كان انتظاري، ويا للأسف، أربع ساعات فقط. جلست فيها أتلذذ بوجبتي المعتادة عند كل مرور بهذه المدينة. قطعة بيتزا، بعض شرائح بطاطا، كولا وكوبا من حساء هو الألذ بينها. الوجبة التي أسدّ بها رمقي خلال نهار كامل هو خلاصة التحايل والتشاطر مع شركة الخطوط الجوية التي تجتذبني ومن مثلي بسعر منخفض مقابل ساعات من التجويع، أو إجباري على شراء وجبة حقيرة بضعف المبلغ. في النهاية أصطاد سعرها المخفّض وأحشو معدتي في المطار متلذذا بإيقاعات الحشود العابرة حولي. وأدع التفكير في أينا الأدهى، أنا أم مكتب الخطوط؟

وحين بلغت نصف وجبتي، جلست أمامي فتاة، أو بالأحرى امرأة، فقد قدّرت أنها تجاوزت الثلاثين. لم تكن باهرة الجمال كي تشدّ العيون إليها أو ربما يقفز القلب بين يديها. لكنها كانت عملية المظهر، بجاذبية ما. تشدّني المرأة المتواضعة التبرج. بدأت بتناول وجبتها السريعة كوجبتي، لكن من يدري إن كانت مسافرة مثلي. لم يسعفني حدسي في معرفة إن كانت من أهل هذه المدينة فقد كانت فيها بعض الملامح العربية.

حاولت فتح الغطاء المعدني لعصير البرتقال فلم يطاوعها، جالت بعينيها في المكان لتجد ما تستعين به لفتحها، ولكن لا شيء. رفعت نظرها فتقاطع مع نظري، فطارت ابتسامة خفيفة على محياها ببراءة ممزوجة بخجل لذيذ أطاح بكل احتمال في أن تكون عربية. تمشي المرأة العربية وتجلس تحيطها هالة من المخاوف كان قد خلقها لها الرجل العربي الذي يمشي ويجلس محاطا بهالة من المخاوف صنعتها له الأديان والمذاهب والتقاليد سيئة النية.

كنت حينها قد شارفت على الانتهاء من وجبتي وشرعت أتصفح هاتفي. رددت الابتسامة بمثلها. أشرت لها أن تضع القنينة على حافة الطاولة وتضربها بلطف لتفتح غطائها. حاولت فلم تفلح. رفعت عينيها إليّ، تبسمت

بمثل سابقتها ووضعت العصير جانبا لتكمل وجبتها دونه. لا أدري ما الذي دفعني حينها إلى التوجه نحوها. طلبت العصير منها وقصدت النادل ليفتحه، وعدت لها به. شكرتني بكلمة لم أتميز لفظها بدقة ورمقتني بابتسامة ثالثة.

عدت إلى مكاني وإلى هاتفي، أشحت بنظري عنها لتكمل طعامها دون إحراج. ساد صمت عمّ المكان واستحالت همهمة الحشود ونداءات المطار إلى موسيقى تداعب فيها أنامل أيروما (3) مفاتيح البيانو بعشق عاقل وعقل عاشق. بهدوء يذكرني بالتي عرّفت آذاني على موسيقاه أول مرة فأصبح أسمها بعض موسيقاي، بل كلها.

بعد عشر دقائق.

انتهزت فرصة ربما لن يأتي الزمان بمثلها. اقتربت منها وسألتها الانضمام إلى طاولتها. تبادلنا أحاديثاّ عادية جدا. دعوتها إلى فنجان كابتشينو في المقهى المجاور. وحين جلسنا في زاوية في منأى عن الأنظار حملت لها قدحها وقطعة حلوى؛ ربما احتفالا بتعارف أهداه إليّ القدر. رجوتها أن نتبادل أرقام هواتفنا، وحين بلغ الحديث بنا مبلغا آخر دفعت لها عنوان بريدي الإلكتروني. ووعدتها بالكتابة حال وصولي.

مرت الشهور وأنا أمطرها برسائل ملؤها الدفء وعذب الكلام وشوق بلا هوادة، لتثمر رسائلي عن عطلة صيفية سنقضيها سوية على ساحل حالم أحيل فيه عذب الكلام إلى سيل من القبل وغابات من عناقات حميمة.

قبل عشر دقائق.

كنت قد عاهدت نفسي ألّا أسقط في هذا الوهم الشرقي. والهوس الشرقي، والمرض الشرقي. ألا أُستدرج إلى هذه الخيالات السطحية الساذجة. إلى هذه التفاهات. وضعت العصير أمامها، واكتفيت بابتسامتها البريئة، وعدت إلى طاولتي أتصفح هاتفي. كنت أقرأ في «الجحيم» (4). ويا للدهشة إذ اختار كاتبها هذه المدينة بالذات كي تكون موضع الذروة فيها!

أكملت هي وجبتها ونهضت، ثم ضاعت في الزحام. لم أفكر حتى في وداعها بابتسامة. غرقتُ في «الجحيم» في حينها. وبعد عشر دقائق غرق كل منا في متاهات حياته. بعد يومين من وصولي، هز المدينة انقلاب عسكري فاشل، كان صراعا آخرا بين السفلة. واليوم، بعد مضي شهر، حين تذكرتها،

وضعتهـا في حـروف في قصـة قصـيرة سـيقرأها البعـض وينسـاها لتغـرق في عـالم النسـيان.

= = =

(1) من قصيدة تناقضات ن. ق. للشاعر السوري نزار قباني.

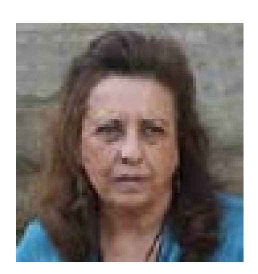
(2) إشـارة إلى الخماسـية الروائيـة للكاتـب السـعودي الراحـل عبـد الرحمـن منيـف «مـدن الملـح» وإحداهـا هـي «التيـه».

(3) أيرومـا (Yiruma): عـازف بيانـو شـهير. برطـاني الجنسـية، كـوري جنبـوي الأصـل.

(4) روايـة «الجحيـم» للكاتـب الأمـيركي دان بـراون. تـدور أحداثهـا الأخـيرة في مدينـة إسـطنبول.

إصدارات جديدة - زهيرة زقطان

الساهرات أصبحن خارج البيت



صدر للكاتبة الفلسطينية، زهيرة زقطان، ديوان شعر جديد عنوانه «الساهرات أصبحن خارج البيت». الناشر: الدار الأهلية، عمّان، 2016. تجدر الإشارة إلى أن الشاعرة باحثة في تاريخ الشعب الفلسطيني ولها في هذا المجال كتاب عنوانه «كنعانيات». ولها مجموعة قصصية بعنوان «أوراق غزالة»، ورواية بعنوان «مضى زمن النرجس» (2007). وهي فنانة تشكيلية باستخدام التطريز بخيوط الحرير. انظر/ي غلاف العدد 62 (عدد آب/أغسطس 2011). أدناه مقتطفات من الديوان الجديد:

في الميثولوجيا الكنعانية

كن هناك -الساهرات- أو النادبات في خيمة خارج البيت يمارسن أغاني الموت والغياب

والتي تنتهي حين يتم الدفن

ها انتهى زمن الساهرات؟

لا، لا يزلن في خيمة الموت والغياب خارج عتبة البيت أمهات الأسرى والشهداء أمهات الحروب كل الحروب.

نص

أين ستحط رأسها الأبيض؟

امرأة بلا وسائد؛ وشعرها أبيض؛

أضاعها الحب؛
ثم أضاعتها الحرب؛
ثم أضاعتها الهزيمة في الحرب؛
امرأة لم تنتصر؛
رأيتها في الجنازة؛
تتقلب في نص قلق عن الموت
كي لا تنام

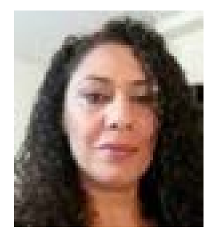
نص آخر

على شاطئ سورية القديمة رست سفن الإغريق
في صيف 1982
المرأة
التي تنتظر السفينة على شاطئ طرطوس
تعرف أنه لم يركب السفينة.
المرأة
كانت تبحث عن عائد يحمل أمانته إليها
حصته من أرز النساء على
شعر الخارجين
وما تبقى من
كف ثقيلة مرقومة بالسجائر
والشظايا
ورغبة حصان
بنوم عميق.



إصدارات جديدة - شيخة حليوي

النوافذ كتب رديئة



صـدر للكاتبـة الفلسـطينية، شـيخة حليـوي، مجموعـة قصصيـة جديـدة عنوانهـا «النوافـذ كتـب رديئـة» عـن دار الأهليـة، عـمّان (2016). المجموعـة هـي الثانيـة مـن نوعهـا. المجموعـة الأولى عنوانهـا «سـيدات العتمـة» وصـدرت عـام 2015 عـن دار فضـاءات في عـمان. وللكاتبـة أيضـا كتـاب ثالـث (نصـوص) عنوانـه «خـارج الفصـول تعلمـت الطـيران» صـدر عـام 2015 عـن دار الأهليـة.



قضايا: بريطانيا والحرب على العراق

الحرب على العراق: مقتطف من تقرير شيلكوت



أدناه مقتطف من تقرير صدر في لندن يوم الأربعاء، 6 تموز (يوليو) 2016 عن نتائج التحقيق في مشاركة بريطانيا في الحرب على العراق في آذار (مارس) 2003 بذريعة وجود أسلحة دمار شامل.

تولى رئاسة هيئة التحقيق جون شيلكوت، واستغرق التحقيق نحو سبع سنوات.

وتكون التقرير من 12 مجلدا، وبلغ عدد الصفحات ستة آلاف صفحة. كان رئيس وزراء بريطانيا وقت المشاركة في الحرب، توني بلير، زعيم حزب العمال. وكان الرئيس الأميركي وقتها، جورج بوش (الابن).

المقتطف من قسم يسأل: «هل كان العراق يشكل خطرا جادا أو وشيكا؟» (ص 46-47؛ الملخص التنفيذي).

331. كانت كلمة السيد بلير في مجلس العموم في 18 آذار (مارس) [2003] تتويجا لسلسلة من التصريحات العلنية والمقابلات التي تحدد الحاجة الملحة للمجتمع الدولي للتحرك من أجل تحقيق نزع سلاح العراق وفقا لتلك القرارات، التي يعود تاريخها إلى شباط (فبراير) 2002، قبل اجتماعه مع الرئيس بوش في كروفورد في 5 و6 نيسان (أبريل).

332. كما أوضح [وزير الخارجية] السيد كوك في خطاب استقالته في 17

آذار (مـارس)، كان مـن الممكـن لوزيـر اسـتخلاص اسـتنتاجات مختلفـة مـن المعلومـات نفسـها.

333. أعـرب السـيد كـوك عـن شـكوكه في قـدرة صـدام حسـين عـلى شـن هجـوم اسـتراتيجي، وفي الدرجـة التـي يمثلهـا العـراق كـ«خطـر واضـح وقائـم» عـلى المملكـة المتحـدة. مـن بـين النقـاط التـي أشـار إليهـا السـيد كـوك:

= «... لا المجتمـع الـدولي ولا الـرأي العـام البريطـاني مقتنـع بـأن هنـاك سـببا ملحـا ومقنعـا لهـذا العمـل العسـكري في العراق».

= «عـلى مـدى العقـد المـاضي، أدت اسـتراتيجية [الاحتـواء] إلى تدمـير كميـة مـن الأسـلحة أكـبر مـن التـي دمـرت في حـرب الخليـج، وفككـت أسـلحة العـراق النوويـة، وأوقفـت برامـج صـدام لصنـع الصواريـخ المتوسـطة والبعيـدة المـدى».

= «العـراق ربمـا لا يوجـد لديـه أسـلحة دمـار شـامل بالمعنـى المفهـوم السـائد للمصطلـح -أي وجـود قذيفـة يمكـن إطلاقهـا عـلى مدينـة تمثـل هدفـا اسـتراتيجيا. وربمـا ... لديـه سـموم بيولوجيـة وذخائـر كيماويـة ميدانيـة، ولكنـه يملـك هـذه منـذ الثمانينيـات، عندمـا باعـت الـشركات الأميركيـة صـدام مـواد الجمـرة الخبيثـة (أنثراكـس)، وبعـد ذلـك وافقـت الحكومـة البريطانيـة عـلى تشـييد مصانـع مـواد كيماويـة وذخائـر. لمـاذا الآن أصبـح عاجـلا القيـام بعمـل عسـكري لنـزع القـدرة العسـكرية التـي كانـت موجـودة طيلـة عشريـن سـنة، والتـي سـاعدنا عـلى تأسيسـها؟ لمـاذا مـن الـضروري اللجـوء إلى الحـرب هـذا الأسـبوع، في حـين أن طمـوح صـدام لاسـتكمال برنامـج أسـلحته متوقـف بسـبب وجـود مفتـشي الأمـم المتحـدة؟»[155].

334. في 12 تشريـن الأول (أكتوبـر) 2004، قـال السـيد سـترو [وزيـر الخارجيـة] في معـرض إعلانـه عـن سـحب سـطرين مـن تقريـر مخابـراتي سـاهم قبـل النـزاع في بلـورة الأحـكام عـلى مرافـق الإنتـاج البيولوجـي المتنقلـة، ونيـات النظـام:

«... لا أقبـل، حتـى بالنظـر إلى المـاضي بمـا نعرفـه اليـوم، أننـا كنـا

مخطئين لقيامنا بعمل كالذي قمنا به في الظروف التي واجهناها في ذلك الحين. حتى بعد قراءة كل الأدلة المفصّلة التي قدمتها مجموعة المسح العراقية، لا يبقى من الصعب تصديق أن نظاما يمكن أن يتصرف بطريقة مدمّرة للذات من أجل أن يتظاهر بأن لديه أسلحة ممنوعة، ولكنه في الواقع لا يملكها» [156].

335. تصرف العراق بصورة مريبة خلال سنوات عديدة، أدت إلى وصول الحكومة ومجتمع المخابرات إلى استدلالات أن العراق كان يسعى إلى حماية أصول أسلحة دمار شامل مخفية. عندما نفى العراق أنه احتفظ بأي قدرات أسلحة دمار شامل، اتهمته الحكومة البريطانية بالكذب.

336. أدى ذلك إلى تأكيد الحكومة على مقدرة العراق على النجاح في خداع المفتشين، وإلقاء ظلال الشك على مقدرة المفتشين التحقيقية. وكما ذكر مرارا، لم يكن دور المفتشين البحث عن أصول أخفيت، بل التأكد من مزاعم العراق.

337. مع حلول شهر آذار (مارس) 2003، حدث ما يلي:

= صواريخ الصمود2- التي تجاوزت النطاق الذي سمحت به الأمم المتحدة، كان يجري تدميرها.

= الوكالة الدولية للطاقة الذرية استنتجت عدم وجود برنامج عراقي نووي ذي أهمية.

= المفتشون اعتقدوا أنهم حققوا تقدما، وتوقعوا الحصول على مزيد من التعاون من العراق.

= كان المفتشون يستعدون لتكثيف نشاطاتهم بطلعات لطائرات من طراز يو2- ومقابلات خارج العراق.

338. عندما سعت المملكة المتحدة لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن في آذار (مارس) 2003، لم تكن أغلبية أعضاء المجلس مقتنعة بأن عملية التفتيش، والجهود الدبلوماسية المحيطة بها، قد وصلت إلى نهاية الطريق. ولم توافق الأغلبية على الرأي الذي دعا إلى وقف عمليات التفتيش واللجوء إلى القوة. ذهبت المملكة المتحدة إلى الحرب دون التفويض

الصريـح الـذي سـعت إلى الحصـول عليـه مـن مجلـس الأمـن.
339. وفي وقـت التصويـت في البرلمـان [عـلى المشـاركة في الحـرب] في 18 آذار (مـارس)، لم تكـن الخيـارات الدبلوماسـية قـد اسـتنفدت. لم يكـن الأمـر في ذلـك الحـين بلـغ مرحلـة اعتبـار العمـل العسـكري المـلاذ الأخـير.

= =

هوامش

[155] مجلـس العمـوم، التقريـر الرسـمي، 17 آذار (مـارس) 2003، الأعمـدة 726-728.

[156] مجلـس العمـوم، التقريـر الرسـمي، 12 تشريـن الأول (أكتوبـر) 2004، العمـودان 151-152.

= =

معلومـات إضافيـة عـن أسـماء الأشـخاص المذكوريـن في المقتطـف أعـلاه ومناصبهم في ذلـك الحين.

بلير: توني بلير (Tony Blair)، زعيم حزب العمال ورئيس الوزراء.

كـوك: روبـن كـوك (Robin Cook)، وزيـر الخارجيـة. اسـتقال مـن منصبـه احتجاجـا عـلى قـرار الحكومـة المشـاركة في الحـرب عـلى العـراق.

سترو: جاك سترو (Jack Straw)، وزير الخارجية بعد استقالة روبن كوك.

السـطران اللـذان أعلـن سـترو عـن سـحبهما مـن التقريـر المخابـراتي زُعـم فيهـما أن العـراق قـادر عـلى تجهيـز أسـلحة الدمـار الشـامل في غضـون 45 دقيقـة.

==

ترجمة «عـود الـنـد»

==

رابط التقرير في موقع هيئة التحقيق برئاسة جون شيلكوت
http://www.iraqinquiry.org.uk/the-report

قضايا: المجتمع المدني في الشرق الأوسط

المجتمع المدني كأيديولوجية

أدنـاه ملخـص ورقـة منشـورة في «المجلـة البريطانيـة لدراسـات الـشرق الأوسـط». الورقـة مـن تأليـف جيسـيكا لي دويـل.

الملخص

لعـب دعـم المجتمـع المـدني منـذ أوائـل التسـعينيات دورا محوريـا في الجهـود الدوليـة المبذولـة في الشرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا للترويـج للديمقراطية وقيمهـا. الأسـاس المنطقـي لهـذا الدعـم يكمـن في فهـم مسـتمد مـن نمـوذج للمجتمـع المـدني يعتمـد عـلى الديمقراطيـة الليبراليـة، وهـو فهـم مهيمـن عـلى النقاشـات حـول المجتمـع المـدني.

تسـلط هـذه الورقـة الضـوء عـلى جوانـب عـدم الدقـة في هـذا النمـوذج، عندمـا يطبـق عـلى دول الـشرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا، بأخـذ تركيـا كمثـال. وتلفـت الورقـة النظـر إلى مخاطـر دعـم منظـمات المجتمـع المـدني عـلى أسـاس تكهنـات.

التحليـل النقـدي لمنظـمات المجتمـع المـدني ودورهـا في المجتمـع الـتركي، باسـتخدام الإطـار النظـري الـذي وضعـه غرامـشي، يؤكـد قضيتـين رئيسـيتين، هـما:

(1) خلافـا لوجهـة النظـر المهيمنـة في وسـط صنـع السياسـات، التـي تسـاوي بـين منظـمات المجتمـع المـدني والديموقراطيـة، يلاحـظ أن منظـمات المجتمـع المـدني تسـاعد في كثـير مـن الأحيـان النخـب

في الـدول الدميقراطيـة وغـير الدميقراطيـة عـلى توسـيع وتعزيـز سـلطتها السياسـية والاقتصاديـة.

(2) الصـورة المثاليـة التـي يرسـمها صنـاع السياسـات الغربيـون للمجتمـع المـدني ينتـج عنهـا تناقـص في إدراك العوامـل التـي تضعـف المجتمـع المـدني، وتـؤدي إلى تـآكل قابليتـه الدميقراطيـة.

اسـتنتاجات الورقـة تؤيـد بصـورة عامـة وجهـة النظـر التـي تؤكـد أن منظـمات المجتمـع المـدني في الـشرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا تسـهل مصالـح النخبـة أكـثر مـما تسـهل مصالـح المواطنـين العاديـين، والدميوقراطيـة بشـكل عـام.

= = =

Jessica Leigh Doyle. Civil Society as Ideology in the Middle East: A Critical Perspective. British Journal Of Middle Eastern Studies Vol. 43 , Iss. 3,2016

الملخـص فقـط متوفـر عـلى الرابـط التـالي. ميكـن الاطـلاع عـلى النـص الكامـل مـن خـلال حواسـب الجامعـات المشـتركة

http://dx.doi.org/10.1080/13530194.2015.1102713

قضايا: اقتصاد

فشل سياسة التقشف

التقشف سياسة اقتصادية اتبعت سنوات طويلة. وكلّما تعرض بلد لمشكلة اقتصادية نتيجة سوء إدارة الاقتصاد، لجأت الحكومة إلى التقشف بدافع ذاتي أو بطلب من مؤسسات مالية دولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي. من الأمثلة على أجراءات التقشف تخفيض المعونة التي تقدمها الحكومة للفقراء، ورفع الدعم عن مواد أساسية بما في ذلك الخبز الذي تعتمد عليه الأسر الفقيرة كثيرا.

ولكن أصوات الذين قالوا في الماضي إن سياسة التقشف سياسة اقتصادية فاشلة بدأت تعلو وتجد لها آذانا صاغية في وسائل الإعلام وحلبة السياسة. والأمثلة كثيرة على فشل التقشف كسياسة لحماية الأوضاع الاقتصادية من مزيد من التدهور، أو حفز النمو الاقتصادي. ومن أشهر الأمثلة الحديثة على فرض التقشف على دولة، ما جرى في اليونان، التي رفض شعبها سياسة التقشف لكن الحكومة رضخت بعد رفض أولي للشروط مؤسسات الاتحاد الأوروبي المالية. وسياسة التقشف كانت (ولا تزال) متّبعة في بريطانيا. وبدأ الموقف منها كسياسة اقتصادية يتغير بعد التصويت على الخروج من الاتحاد الأوروبي.

المقتطف أدناه من ورقة قدمها البروفسور روبرت سكيدلسكي (Robert Skidelsky)، الأستاذ الفخري في الاقتصاد السياسي في جامعة واريك البريطانية. عنوان الورقة «فشل التقشف». صدرت

الورقة في حزيران (يونيو) 2015 عن معهد شيفيلد لبحوث الاقتصاد السياسي. ترجمة «عود الند».

= =

أدت ورقة صادرة عن صندوق النقد الدولي في عام 2010 إلى انتهاء ساعة المجد التي حظي بها اليسينا. فباستخدام ذات البيانات التي استخدمها أليسينا، قال مؤلفو ورقة صندوق النقد: «مع أنه من الممكن التكهن بأن تأثيرات الثقة أدت دورا في عينة التعزيزات، ولكن أثناء فترات الهبوط، لا يبدو أن التأثيرات لعبت دورا قويا ما فيه الكفاية لتحويل التعزيزات إلى تمددية». الانكماش المالي انكماشي. نقطة.

الأدلة على أن هذا صحيح تتراكم. في الوقت الحاضر، هناك اتفاق واسع النطاق أن التقشف يسبب ضررا. مكتب مسؤولية الميزانية وكالة مستقلة أسسها [وزير المالية البريطاني] أوزبورن لتقييم أداء الحكومة على مستوى الاقتصاد الكلّي (ماكرو). استنتج المكتب أن التقشف أدى إلى خفض نمو الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 2٪ من 2010 وحتى 2012، مما أدى إلى رفع كلفة التقشف التراكمية منذ 2010 لتبلغ 5٪ من الناتج المحلي الإجمالي. ويقدر سايمون رين لويس من جامعة أكسفورد أن الضرر قد يكون أكثر من ذلك وقد يكون بلغ 15٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

في استطلاع حديث لرأي الاقتصاديين البريطانيين أجراه مركز الاقتصاد الكلي، رأى ثلثا الذين استطلعت آراؤهم أن التقشف أضر اقتصاد المملكة المتحدة. بريطانيا ليست الدولة الوحيدة التي عانت من التقشف. ففي التوقعات للاقتصاد العالمي المنشورة في تشرين الأول (أكتوبر) 2010، اعترف صندوق النقد الدولي بأن «المضاعفات المالية لم تقدر حق قدرها في مختلف أنحاء العالم».

بعبارة سهلة: المتنبئون لم يحسنوا تقدير مدى القدرة الإضافية، وبالتالي لم يحسنوا تقدير نطاق التوسع المالي لزيادة الإنتاج. هل كان الخطأ غير مقصود؟ أم أن الأمر يعود إلى أن المتنبئين كانوا مستعبدين للنماذج الاقتصادية التي عنت ضمنا أن الاقتصادات في حالة عمالة كاملة، وفي هذه الحالة النتيجة الوحيدة للتمدد المالي هو التضخم؟

نجح [حزب] المحافظين إلى حد بارع في إقناع الناخبين الإنجليز بأنه يقوم بعملية «تنظيف الفوضى التي تركها [حزب] العمال»؛ وأنه بدون التقشف كانت «بريطانيا ستسير على درب اليونان». للأسف لم يتمكن حزب آخر، باستثناء الحزب القومي الإسكتلندي، من تطوير سردية مضادة فعالة، ولذا لم يكن هناك انخراط في نقاش حول التقشف والتوسع. ورغم التأخير، حان الوقت لذلك. فقد ظل جورج أوزبورن وزيرا للمالية، ووعد بتخفيضات أقسى خلال السنوات الخمس القامة.

لا يزال التقشف المالي المذهب السائد في منطقة اليورو، وذلك بفضل ألمانيا. ولذا سوف يستمر الضرر. وفي غياب سردية مضادة فعالة، قد يكون قدرنا أن نكتشف مدى الألم الذي سوف يتحمّله الضحايا قبل أن يمحي ذكراه الانتعاش الموعود.

= = =

الهوامش

[6] Simon Wren Lewis (2015) 'The Macroeconomic Record of the Coalition Government', Journal of the National Institute of Economic and Social Research.

سايمون رين لويس (2015) «سجل حكومة الائتلاف [البريطانية] في الاقتصاد الكلي»، مجلة المعهد الوطني للبحوث الاقتصادية والاجتماعية. متوفر على الرابط التالي:

http://ner.sagepub.com/content/231/1/R5.abstract

[7] Simon Wren Lewis (2015) 'The size of the recent macro policy failure', Mainly Macro.

سايمون رين لويس (2015) «حجم الفشل الأخير للسياسة الكلية». مدونة مينلي ماكرو. متوفر على الرابط التالي:

https://mainlymacro.blogspot.co.uk/2015/02/the-size-of-recent-macro-policy-failure.html

معلومات إضافية عن أسماء ذكرت في المقتطف.

= أليسينا: البرتو اليسينا (Alberto Alesina). أستاذ في جامعة هارفرد الأميركية.
= أوزبـورن: جـورج أوزبـورن (George Osborne). وزيـر الماليـة البريطاني. اسـتبدل بوزيـر آخـر بعـد تصويـت الشـعب البريطـاني عـلى الخـروج مـن الاتحـاد الأوروبي، الـذي تبعـه اسـتقالة رئيـس الـوزراء، ديفيـد كامـيرون، وانتقـل رئاسـة الـوزراء إلى تيريـزا مـاي في تمـوز (يوليـو) 2016.
= مركـز الاقتصـاد الـكلي: Centre For Macroeconomics. عنـوان موقعـه عـلى الإنترنـت:

http://www.centreformacroeconomics.ac.uk

= =

رابط الورقة الكاملة

http://speri.dept.shef.ac.uk/wp-content/uploads/2015/06/SPERIPaper23-the-failure-of-austerity.pdf

د. عـدلـي الـهـوّاري

نظريات الديمقراطية: عرض ونقاش



أدنـاه فصـل مـن رسـالة دكتـواره موضوعها الديمقراطية والإسـلام . سـلمت الرسـالة ونوقشت بنجـاح في جامعــة وستمنســتر (لنــدن) في عــام 2012. وتــم في البحــث اختيــار الأردن كحالــة دراســية. الفصــل يعــرض النظريــات المتعلقــة بالديمقراطيــة، ويناقشــها قبــل الوصــول إلى التعريــف الــذي تبنتــه الرســالة. تجــدر الإشــارة إلى أن الرســالة نــشرت في كتابــين، أحدهــما خصـص للجانـب النظـري ومـن الرسـلة؛ والآخـر للجانـب العمـلي. والرسـالة أيضـا متوفـرة مـن خـلال موقـع جامعـة وسـتمنسر والمكتبــة البريطانيــة.

اسـتعرض في هـذا الفصـل نظريـات مختلفـة متعلقـة بالديمقراطيـة لتسـليط الضـوء عـلى النقاشـات (أو الجـدل) حـول معنـى الديمقراطيـة، ولتحديـد النظريات التــي يسترشــد بهــا هــذا البحــث. يعــرّف بــروار (2000، ص 192) النظريــة بأنهــا «مجموعــة مــن الطروحــات المجــردة المترابطــة حــول الشــؤون الإنســانية والعــالم الاجتماعــي تفــسر انتظاماتهــا وخصائصهــا». وينــوه أن النظريــات ليســت «بيانــات وصفيــة» (ص 192). مايلــز وهوبرمــان (1994، ص 18) يشــيران إلى أن دور الإطــار النظــري شرح «أهــم الأشــياء التــي يتعــين دراســتها —العوامــل والتصــورات والمتغــيرات الرئيســية—والعلاقة المفترضــة بينهــا».

قـال روبـرت دال في الخمسـينيات (1956): «لا توجـد نظريـة ديمقراطيـة واحـدة بـل نظريـات» (ص 1). بعـد مـرور خمسـين عامـا عـلى هـذا القـول، مـن السـهل عـلى المـرء أن يتخيـل أن النظريـات تضاعفـت. أول التحديـات التـي تواجـه الباحـث في المسـائل المتعلقـة بالديمقراطيـة هـو تعريفهـا، وأقصـد تعريفـا يتجـاوز المعنـي الحـرف للمصطلـح الـذي يعـود إلى العـصر الإغريقـي ويعنـي حكـم الشـعب. ولكـن قبـل البحـث عـن المعنـى، أود أن أسـتعرض عـددا مـن الحجـج المتعلقـة بالديمقراطيـة، بـدءا بالحجـة التـي تعـترض عـلى الفكـرة نفسـها، ثـم الحجـج المختلفـة التـي تعـترض عـلى النـماذج والتصـورات والتوافـق الثقـافي، والمتطلبـات المسـبقة للديمقراطيـة. بعـد ذلـك، سأشـير إلى الحجـج التـي تعـرّف الديمقراطيـة.

الديمقراطية: الطعن في المفهوم

يقـول هاينـز (2001) إن «تعريـف الديمقراطيـة مهمـة صعبـة» (ص 8). ويعـترف كـين (1991) بـأن «مفهـوم الديمقراطيـة محفـوف حاليـا بالتشـويش» (ص 168). ويقـول هوفـمان (1988، ص 131) جازمـا: «الديمقراطيـة بـلا شـك المفهـوم الأكـثر اعتراضـا عليـه وإثـارة للجـدل في النظريـة السياسـية».

ويقـول صيقـل(2003) إن «الديمقراطيـة مفهـوم مثقـل بالمعـاني، فتاريخيـا، عنـى شـيئا مختلفـا لفئـات مختلفـة مـن النـاس». ويضيـف: «ليـس هنـاك إجـماع [في الـدول الغربيـة] عـلى مـا يعنيـه المفهـوم بالضبـط، وعـلى أفضـل طريقـة للتعبـير عـن الفكـرة». ويشـير صيقـل أيضـا إلى أنـه لا يوجـد «اتفـاق واسـع النطـاق بـين المنظريـن والممارسـين عـلى مـا إذا كانـت الديمقراطيـة تعنـي شـكلا مـن أشـكال الحكـم، أم وسـيلة لاختيـار الحكومـة، أم مصطلحـا ينطبـق عـلى مجتمـع بأكملـه» (ص 111).

سـيجد الباحـث أن دارسي الديمقراطيـة يقتربـون مـن تعريـف الديمقراطيـة ببعـض الـتردد. وسـيجد مـرارا إشـارة إلى غـالي ([1956] 1968) الـذي جـادل بـأن الديمقراطيـة هـي «مفهـوم متنـازع عـلى جوهـره». ولذلـك، فـإن البدايـة منطقيـة لهـذه المناقشـة هـي حجـة غـالي. وفقـا لغـالي (1968)، هنـاك مفاهيـم متنـازع

على جوهرها، مثل الدين والفن والعلم والديمقراطية والعدالة الاجتماعية (ص 168).

لكي يدرج مفهوم ما ضمن هذا التصنيف، يجب أن يستوفي خمسة شروط (ص 161-168):

أولا: المفهوم المطروح يجب أن يكون تقييميا، بمعنى أنه يدل على إنجاز يحظى بقيمة أو ينسب إليه الفضل في ذلك.

ثانيا: الإنجاز يجب أن يكون ذا سمة داخلية معقدة، وما يحظى به من قيمة ينسب إليه ككل.

ثالثا: تفسير قيمة المفهوم يجب أن تشمل إشارة إلى مساهمات إلزامية من أجزائه أو ميزاته المختلفة [...] والإنجاز المعترف به يوصف في البداية بصور مختلفة.

رابعا: الإنجاز المعترف به يجب أن يكون من نوع يسمح بتعديل كبير على ضوء الظروف المتغيرة؛ التغييرات لا يمكن تحديدها أو التنبؤ بها مقدما [...] أي إنجاز من هذا القبيل ذو طبيعة «مفتوحة».

خامسا: يعترف كل طرف بحقيقة أن استخدامه للمفهوم متنازع عليه من الأطراف الأخرى.

من أجل التمييز بين المفهوم المتنازع على جوهره والمفاهيم «المشوشة جذريا» يضيف غالي شرطين آخرين: (ص 168):

سادسا: اشتقاق مفهوم من هذا القبيل من نموذج أصلي سلطته معترف بها من جميع المستخدمين المتنازعين.

سابعا: احتمال أو معقولية، بالمعنى الملائم لهما، الادعاء بأن التنافس المستمر على الاعتراف بين مستخدمي المفهوم المتنازعين يمكّن إنجاز النموذج الأصلي من الديمومة أو التطور بالطريقة الأمثل.

يصف غالي الديمقراطية كمصطلح بأنها «معقدة ومشحونة عاطفيا إلى حد كبير، ومربكة». ولكنه يمتنع عن توضيح الإرباك. وبدلا من ذلك، يشرح كيف تنطبق الشروط السبعة على الديمقراطية، وبالتالي التحقق من صحة الحجة القائلة إن الديمقراطية هي مفهوم متنازع على جوهره (ص 178).

يرى غراي (1977) أن من «سمات هذه المفاهيم أنها تحدث في سياقات اجتماعية مرتبطة بنزاع أيديولوجي» (ص 333). ويشكك غراي في توصيف غالي للمفاهيم المتنازع على جوهرها، ويعتبر توصيفه مفهوما متنازعا على جوهره أيضا (ص 339). وفي رأي بيرش (1993)، أن المفاهيم والتنازع عليها يتغيران، وقد يتوقف الاختلاف على مفهوم كان محل خلاف في الماضي (ص 8-9).

يتخذ الاعتراض على فكرة الديمقراطية وما تعنيه أشكالا مختلفة. إحدى طرق الاعتراض هي القول إن للديمقراطية أكثر من نموذج. ولكن الباحثين استخدموا مصطلح «نموذج» بمعنيين، أحدهما فضفاض، والآخر محدد.

وفقا لماكفرسون (1977)، مصطلح «نموذج» يعني «بناء نظري يهدف إلى عرض وتوضيح العلاقات الحقيقية، الكامنة وراء المظاهر، بين ظاهرة قيد الدراسة وغيرها أو داخل الظاهرة» (ص 2-3). أما هيلد (1995، ص 5) فهو أكثر تحديدا في استخدامه لمصطلح «النموذج». ويحدد ثلاثة نماذج للديمقراطية: (1) المباشرة أو الديمقراطية التشاركية؛ (2) الديمقراطية الليبرالية أو التمثيلية (النيابية)؛ (3) ديمقراطية الحزب الواحد.

تعريف ماكفرسون للنموذج نظري ويبدو قريبا من الحجة التالية، التي سيتم إيجازها أدناه، وهي متعلقة بالتصورات المختلفة للديمقراطية. استخدام هيلد للمصطلح، نموذج، وصفي أكثر لكيفية ممارسة الديمقراطية. وفيما يتعلق بالنموذج الثالث الذي ذكره يقول «قد يشك البعض في اعتباره شكلا من أشكال الديمقراطية» (ص 5). الاستخدامان المختلفان لمصطلح نموذج يشيران إلى أنه مصطلح غامض، ولا يمكن فهمه إلا عندما يفسر المستخدم ما يقصد به.

يشير كونولي (1995) إلى أن «استكشافات ماكفرسون للمثل الديمقراطية حدث في سياق بضع مناقشات» من قبيل «نقاش التعددية-النخبوية، [...] الصدام بين مُثل الديمقراطية المتعلقة بالمشاركة والتمثيل، والعلاقة بين

المساواة الاقتصادية والمواطنة الديمقراطية، [و] التفوق النسبي للرأسمالية أو الاشتراكية». ولكن كونولي يعترف بأن هذه المناقشات استبدلت (ص 76).

ورد أعلاه أن هيلد حدد ثلاثة نماذج للديمقراطية، وأن أحدها نموذج «الديمقراطية الليبرالية أو النيابية». ولكن هناك حاجة إلى توضيح عنصرين: الأول الديمقراطية النيابية، والثاني العلاقة بين الديمقراطية والليبرالية.

يتساءل سارتوري (1962، ص 253): «هل الديمقراطية المباشرة أفضل؟ وهل لا تزال ممكنة؟» إذا كان من الممكن للشعب في المدينة-الدولة الإغريقية الاجتماع في مكان واحد، لم يعد ممكنا استيعاب شعب الدولة-الأمة في مكان واحد. ونتيجة لذلك، فإن الديمقراطية المباشرة تمارس في الهيئات الصغيرة، كالأندية مثلا، أو في مناسبات محددة كالاستفتاءات.

الشكلي العملي لممارسة الديمقراطية هو الديمقراطية النيابية، ووفقها يختار الناخبون أشخاصا لتمثيلهم في البرلمان والهيئات المماثلة المخولة سن قوانين ومحاسبة السلطة التنفيذية. يشير سارتوري إلى أن جميع الديمقراطيات الحديثة غير مباشرة، أي أن الشعب يحكمه نواب انتخبهم لذلك (ص 252). أما مسألة العلاقة بين الليبرالية والديمقراطية فهي أكثر تعقيدا، وتثير جدلا بين مؤيدي المفهومين، وخاصة بشأن التوازن السليم بين الاثنين.

يشير بوبيو (1990، ص 25) محقا إلى أن «الليبرالية كنظرية للدولة مسألة حديثة، بينما الديمقراطية شكل قديم من أشكال الحكومة». غراي (1995) يوضح أن «الليبرالية ليست أقدم من القرن السابع عشر». ويلاحظ أن أول استخدام لمصطلح «الليبرالية» لوصف «حركة سياسية كان في عام 1812 من قبل حزب إسباني اسمه الليبراليون (Liberales)». وقبل ذلك، استخدم آدم سميث الكلمة عندما أشار إلى «الخطة الليبرالية للمساواة والحرية والعدالة» (ص xi).

ويشرح دووركين (1983) أن أحد جوانب الليبرالية يهتم بالحكومة والفرد. وفي هذا الصدد، تقضي الليبرالية بأن تكون «الحكومة محايدة بشأن المسائل الأخلاقية الشخصية، وأن تدع الناس يعيشون وفق الطريقة التي يرونها الأفضل طالما أنها لا تضر الآخرين.».

الجانب الآخر من الليبرالية، وفقا لدووركين، يهتم بالاقتصاد. وفي هذا

الصـدد، تقـضي الليبراليـة بـأن عـلى الحكومـة «التقليـل مـن عـدم المسـاواة الاقتصاديـة، مـن خـلال إدارة الاقتصـاد وبرامـج الرعايـة التـي تعيـد توزيـع الـثروة لتخفيـف آثـار الفقـر».

يشـير زكريـا (2004، ص 20) إلى أن معظـم الـدول الأوروبيـة في سـنة 1940 «اعتمـدت جوانـب هامـة مـن الليبراليـة الدسـتورية: سـيادة القانـون، وحقـوق الملكيـة الخاصـة، وعـلى نحـو متزايـد، الفصـل بـين السـلطات وحريـة التعبـير والتجمـع». ويلاحـظ كذلـك أنـه قبـل القـرن العشريـن، كانـت «معظـم البلـدان في أوروبـا الغربيـة ذات نظـام حكـم فـردي ليـبرالي، أو شـبه ديمقراطـي في أحسـن الأحـوال. فالحـق في التصويـت كان مقيـدا جـدا، والهيئـات التشريعيـة المنتخبـة كان لديهـا القليـل مـن السـلطة» (ص 20).

في ضـوء مـا سـبق، كثـيرا مـا يجـد المـرء صفـة غـير ليبراليـة مضافـة إلى الديمقراطيـة للإشـارة إلى أنهـا شـكل ناقـص مـن أشـكال الديمقراطيـة، لافتقارهـا إلى الحريـات الشـخصية وعنـاصر مـن النظـام الرأسـمالي، وخاصـة اقتصـاد السـوق. عـلى سـبيل المثـال، مـع أن إيـران تجـري انتخابـات منتظمـة، وشـعبها انتخـب عـددا مـن الرؤسـاء منـذ تأسـيس الجمهوريـة الإسـلامية في إيـران عـام 1979، فـإن إيـران توصـف بأنهـا ديمقراطيـة غـير ليبراليـة (زكريـا 2004).

رغـم ذلـك، فـإن البعـض يفضـل الليبراليـة عـلى الديمقراطيـة. يشـير سـارتوري (1962) إلى رفـض كانـط الصريـح للديمقراطيـة باعتبارهـا شـكلا مـن الحكـم الاسـتبدادي (ص 262). ويشـير أيضـا إلى أن ماديسـون وهاملتـون، وهـما مـن الآبـاء المؤسسـين للولايـات المتحـدة لم يختلـف تفكيرهـما في المسـألة عـن تفكـير كانـط (ص 288).

هـذه النظـرة للديمقراطيـة لم تنقـرض. يذكـر هيلـد أن هايـك يميـز «بـين الليبراليـة والديمقراطيـة»، وأن هايـك قـال «إذا كانـت الديمقراطيـة تعنـى «إرادة الأغلبيـة بـدون قيـود» فهـو «ليـس ديمقراطيـا».» (هايـك 1982، ص 39 في كتـاب هيلـد، 1987، ص 248).

فكـرة أن الديمقراطيـة تعنـي حكـم الأغلبيـة بـدون قـود أو عقلانيـة فكـرة قديمـة باليـة. سـارتوري (1962، ص 460-461) قـال إن «الديمقراطيـة لا معنـى لهـا بـدون الليبراليـة». وبعـد خمسـين سـنة، يـردد بيثـام (2004، ص 61-75)

نفس الحجة: الديمقراطية والحرية لا ينفصلان. ويؤكد: «بدون حرية لا توجد ديمقراطية» (ص 61).

يلخص بوبيو (1990، ص 37) النقاش حول الليبرالية والديمقراطية بالقول إن «الديمقراطية يمكن أن تعتبر تطورا طبيعيا لليبرالية». هذا الاستنتاج لا ينطوي على تناقض، لأنه لا يعني ضمنا أن الديمقراطية ظلت مستمرة منذ عهد المدينة-الدولة الإغريقية، بل ينطبق تحديدا على عودة ظهور الديمقراطية في العصر الحديث، والمناقشات التي تحيط بالليبرالية والديمقراطية.

أؤيد وجهة نظر سارتوري، وبيثام، وبوبيو. ولكن هذا لا يختم النقاش حول الديمقراطية.

الديمقراطية: تصورات مختلفة

هناك طريقة أخرى للطعن في فكرة الديمقراطية وتعتمد على قول إن هناك تصورات أخرى في الثقافات غير الغربية توفّق بين الديمقراطية والهويات الثقافية. يتفق اسبوزيتو وفول (1996) مع قول غالي إن الديمقراطية مفهوم متنازع على جوهره، ويذهبان إلى قول إن لدى الثقافات الأخرى ما تقدمه.

لكي أناقش وجهة نظرهما، أود أولا أن أشير إلى فيليب حتي (1948، ص 15.) الذي يقول إن القبيلة العربية تدار على أسس ديمقراطية، «ففي الشؤون القضائية والعسكرية والشؤون الأخرى ذات الاهتمام المشترك، لا يملك شيخ القبيلة سلطة مطلقة، فعليه أن يتشاور مع مجلس القبيلة المكون من أرباب العائلات التي تتكون منها القبيلة. وبقاء الشيخ في منصبه يعتمد على إرادة أفراد القبيلة».

لتجنب إعطاء الانطباع بأن المقتطفات أعلاه تبالغ في عقد المقارنة مع الديمقراطية، من الضروري الإشارة إلى أن حتي يصف العربي بأنه ديمقراطي (ص 15):

> «العربي عامة والبدوي خاصة ولد ديمقراطيا. ويلاقي شيخه على قدم المساواة. المجتمع الذي يعيش فيه يزيل تباين المستويات. والعربي نادرا ما يستخدم لقب ملك إلا في سياق الإشارة إلى حكام أجانب».

ويقول اسبوزيتو وفول (1996، ص 23) أيضا إن أبا الأعلى المودودي طور مفهوما إسلاميا للديمقراطية. سأناقش قولهما هذا ومفهوم المودودي في الفصل المتعلق بالديمقراطية وكل من الإسلام والإسلام السياسي. وسوف أكتفي هنا بالإشارة إلى أن قول اسبوزيتو وفول إن لدى الثقافات الأخرى تصورات مختلفة للديمقراطية لا يتفق مع الجانب التالي من النقاش، وأقصد قولا مفاده إن الديمقراطية لا يمكن أن تنشأ في كل الثقافات.

الديمقراطية والثقافات

تعود فكرة أن الديمقراطية لا يمكن أن تزدهر إلا في بيئات ثقافية أو دينية معينة إلى ماكس فيبر الذي زعم أن الرأسمالية والديمقراطية تتطلبان الأخلاقيات المسيحية البروتستانتية. وفيما يتعلق بالإسلام، فقد قارنه فيبر مع اليهودية واستنتج أن الإسلام «يفتقر إلى شرط المعرفة الشاملة للقانون، وإلى التدريب الفكري في تطبيق المبادئ الأخلاقية العامة على حالات محددة تتعلق بالضمير والسلوك، اللذين يغذيان العقلانية اليهودية» (فيبر في هنتر ومالك 2005، ص 11-12).

لم يكن ماكس فيبر مستشرقا منغمسا في دراسة اللغة العربية والإسلام. ولذلك، ينبغي أن يقابل استنتاجه بالشك. مكسيم رودنسون (1977، ص 91) يناقض فيبر، ويصل إلى استنتاج مفاده أن «القرآن يمنح العقل مكانا أكبر من الذي تمنحه للعقل الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية». ويخالف فرانسيس فوكوياما (1992، ص 220-221) رأي فيبر بقوله: «رواية فيبر للديمقراطية كالعادة غنية تاريخيا وثاقبة. لكنه يصور الديمقراطية بوصفها شيئا ما كان يمكن لها أن تنشأ إلا في وسط ثقافي واجتماعي محدد لزاوية صغيرة من الحضارة الغربية».

ويرفض فوكوياما الحجج التي تقول إن هناك «شروطا ثقافية مسبقة للديمقراطية»، ويدعو إلى التعامل معها ببعض الشك، لأن «الثقافات ليست ظواهر ثابتة مثل قوانين الطبيعة؛ بل هي اختراعات بشرية تخضع لعملية

مستمرة من التطور»(ص 222). ولكن، وكما سنرى في فصل آخر، يناقض فوكوياما نفسه عندما يتعلق الأمر بالإسلام والديمقراطية.

متطلبات مسبقة للديمقراطية

هناك تشكيلة من المتطلبات المسبقة التي يقول الدارسون إنها يجب أن تستوفى قبل أن يمكن العمل بنظام حكم ديمقراطي. يلخص هنتنغتون (1991) العوامل التي من المفترض أنها تفسر الانتقال إلى الديمقراطية (ص 37-38). تتضمن قائمته عوامل من قبيل أن الدولة كانت مستعمرة بريطانية، أو احتلتها دولة أجنبية مؤيدة للديمقراطية. لو كان العامل الأخير صحيحا، لأنتج دولا ديمقراطية في العالم العربي الذي كانت بريطانيا وفرنسيا تحتلان مناطق مختلفة منه.

ويحدد ليبست (1959) العلاقة بين الديمقراطية والتنمية من خلال النظر في مؤشرات تتعلق بـ«التصنيع، والتحضر، والثروة، والتعليم». ولكنه يحذر من استنتاج أن «الزيادة في الثروة، وفي حجم الطبقة الوسطى، وفي مجال التعليم، وعوامل أخرى ذات صلة تعني بالضرورة انتشار الديمقراطية أو استقرارها» (ص 103). هذا التحذير سليم، فالثروة في الدول المنتجة للنفط في العالم العربي لم تؤد إلى الديمقراطية، على الرغم من أن الثروة أدت أيضا إلى زيادة في التعليم والتصنيع والتحضر.

يشير برجيفورسكي في دراساته بشأن الصلة بين الديمقراطية والدكتاتورية، ونصيب الفرد من الدخل، إلى أن «الديمقراطيات في الدول الغنية تبقى على قيد الحياة» لأن «الزيادة المحتملة في الدخل التي ستنتج عن إنشاء ديكتاتوريات فيها لا تستحق التضحية بالحرية من أجلها» (2005، ص 8). ويقول برجيفورسكي: «إن الديمقراطية يمكن أن تبقى على قيد الحياة في البلدان الفقيرة ولكن في ظل ظروف خاصة، أي أن يكون توزيع الدخل فيها قائما على المساواة» (ص 9).

يحدد راستو (1967، ص 228) أربعة شروط مسبقة للديمقراطية، وهي:

أولا: تاريخ من التحديث الإداري والتعليمي مدته الزمنية 40-130 سنة.
ثانيا: سياق جغرافي مستقر للنظام السياسي طوال الفترة نفسها.
ثالثا: تقليد، يعود على الأقل إلى جيل أو اثنين أو ثلاثة من الأحزاب التي تقدم صلة عضوية بين الحاكمين والمواطنين، وتمكنت تدريجيا من إشراك عدد أكبر في العملية السياسية.
رابعا: نزاعات عنيدة ومريرة بين جماعات اجتماعية وسياسية كبرى حول قضايا تحظى باهتمام عميق لديها (ص 228-229).

أحتاج هنا لتوضيح الفرق بين التحديث والحداثة.

يعرّف تشارلتون واندراس (2003)، التحديث بأنه «عملية» وليس «حالة»، ويمكن اعتباره «الآلية العامة التي تستخدم لتحقيق التحول الاجتماعي من الهيمنة الزراعية إلى هيمنة التجارة والصناعة، والاستمرار الدائم لهذه العملية» (ص 5). ويضيف الكاتبان: «جميع المجتمعات تقريبا تعرضت إلى التحديث ولو جزئيا على الأقل [...] ولا يوجد مجتمع تعرض إلى التحديث بشكل كامل»(ص 5).

الحداثة، في المقابل، وحسب تعريف بيرغر (1979، ص 101)، هي «تحول العالم الناتج عن الابتكارات التكنولوجية في القرون القليلة الماضية، في أوروبا أولا، وبعد ذلك وبزيادة سريعة في جميع أنحاء العالم». تعتمد الحداثة في تعريف غيدنز (1991، ص 1) على «أوضاع حياة اجتماعية أو تنظيم ظهرا في أوروبا من حوالي القرن السابع عشر فصاعدا، وانتشرا لاحقا في سائر أنحاء العالم تقريبا».

ولكن الحداثة لا تقتصر على التكنولوجيا. يشير بيرغر إلى أن للحداثة «أبعادا اقتصادية واجتماعية وسياسية، كلها هائلة النطاق». من نتائج ذلك

على الوعي «اقتلاع المعتقدات، والقيم، وحتى الملمس العاطفي للحياة»(ص 101). وفي رأي غيدنز (1991) أن «الحداثة تؤدي إلى العالمية». وتساءل عما إذا كانت الحداثة شأنا غربيا واضحا. ويجيب عن التساؤل بنعم، لأن الحداثة تقوم على «الدولة القومية والإنتاج الرأسمالي المنهجي»، إذ لهما في رأيه، «جذور في خصائص معينة من التاريخ الأوروبي» (ص 174).

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الدول في أوروبا، حتى الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، لا تتفق على أن هناك هوية أوروبية، وتصر كل دولة على الهوية الوطنية الخاصة بها. وحتى في بعض الدول، مثل المملكة المتحدة وبلجيكا، هناك هويات وطنية تجعل من الهوية البريطانية والبلجيكية أمرا رسميا لا أكثر. ولكن كل هذا يتم تجاهله في مناقشة مفاهيم مثل الديمقراطية والحداثة. فيصبح الغرب وأوروبا شيئا محددا يستخدمه غيدينز لإطلاق تعميمات بغية مقارنة الغرب مع الشرق.

دارسون آخرون أقل اهتماما بكون الحداثة أوروبية أم لا. ولديهم مخاوف بشأن تأثير الحداثة حيث سادت في الغرب. على سبيل المثال، بيرغر (1979، ص 102-110) يحدد خمس معضلات نتجت عن الحداثة: الأولى، التجريد (على سبيل المثال الأسواق الرأسمالية والدولة البيروقراطية، والمدن الكبيرة)؛ والثانية، المستقبلية (المستقبل هو التوجه الأساسي)؛ والثالثة، الفردانية (فصل الفرد عن الكيانات الجماعية)؛ والرابعة، التحرير (القدر لا يقرر)؛ والخامسة هي العلمنة (تهديد معقولية المعتقدات الدينية).

رغم ما قيل أعلاه، أود أن أشير إلى أن حركات الصحوة الدينية في السبعينيات والثمانينيات تقوّض الافتراضات المتعلقة بالمعتقدات الدينية والعلمنة [1].

من بين المنظرين في مسائل الحداثة، وجدت راستو (1967) الأكثر إقناعا للغاية. فهو يشير إلى أن التحديث يؤدي إلى «تحول الإنسان والمجتمع، ولكن عقل الإنسان أكثر من أي شيء آخر»[2]، و«ينطوي على ثورة فكرية وتقنية واجتماعية» (ص 3).

في رأيي أن هذا القول لراستو يقدم أساسا أفضل للنظر إلى الحداثة وتأثيرها على الشعوب غير الغربية، وغير الأوروبية. المسلمون عموما ليس

لديهم مشكلة مع الجانب التكنولوجي من الحداثة: سواء تعلق ذلك الأمر بالسيارات أو التليفزيونات أو الهواتف أو الحواسب أو المعدات التكنولوجية الأخرى [3].

الأثر الاجتماعي التحديث مسألة أكثر تعقيدا. لا يتأقلم الناس بسرعة في هذا المجال. على سبيل المثال، كان تعليم المرأة لا يعتبر ضروريا لأن المرأة على الأرجح سوف تتزوج، وبالتالي ستبقى في المنزل. ولكن هذا الموقف تجاه تعليم المرأة تغير. فالآباء والأمهات يهتمون بتعليم بناتهم وأبنائهم. وإضافة إلى ذلك، فإن التحول الاجتماعي لا يسير بالضرورة على الطريق الغربي. الناس يتبنون ويتأقلمون بانتقائية.

هذا، في رأيي، يقوّض القلق غير المبرر من أن الحداثة تعني التغريب. ولكن عملية التحديث تجلب معها بعض الجوانب التي تثير القلق حتى في الغرب، مثل التجريد والانفرادية.

التحول الثالث الذي ذكره راستو، أي التحول الفكري، هو الأصعب، والأبطأ. عندما ينشأ الإنسان على الاعتقاد بأن الإسلام يقدم الإجابة عن كل الأسئلة، من الصعب عليه قبول فكرة وجود إجابات في مفاهيم أخرى، مثل الديمقراطية. ولكني أرى أن التحول الفكري في العالمين العربي والمسلم، لم يبدأ وحسب، بل ترسخ.

وثمة نقطة أخيرة يذكرها راستو، أود أن أشير إليها في هذا النقاش، ومفادها أن التحديث «عملية مستمرة، [...] ولا يستطيع أي مجتمع أن يدعي أنه حديث تماما وبصورة قاطعة» (ص 16).

في رأيي أن هذا الاستنتاج لراستو صحيح، ويحرم غيدينز وغيره من الأساس الذي يقولون على أساسه إن الحداثة أمر غربي أو أوروبي. ويضيف راستو أن «التحديث، كمفهوم تحليلي، له ميزة تتمثل في كونه محايدا أخلاقيا» (ص 8).

بعد فحص المفاهيم التحليلية الأخرى (في هذا الفصل وغيره)، أميل إلى الاتفاق مع راستو، رغم أن موقفا محايدا أخلاقيا تماما أمر مستحيل. ولكني من الضروري السعي إلى التحلي بموقف محايد أخلاقيا. إضافة إلى ذلك، أجد نهج راستو أفضل من المفاهيم التحليلية المحملة بالتحيزات

الأيديولوجية والدينية والثقافية، ليس من منطلق ما أفضله شخصيا، بل من ناحية صحة الاستنتاجات التي يتوصل إليها الباحث نتيجة استخدامه مفهوما تحليليا محددا.

وقبل أن أختتم مناقشتي للحداثة ونظرية التحديث راستو، سوف أشرح بتفصيل أكبر لماذا وجدت نظرية راستو أفضل من النظريات أخرى فيما يتعلق الأردن، على الرغم من اعتبار نظريته تطورية وحتمية.

في القسم المتعلق بالمنهجية، نقلت عن شتراوس وكوربن (1998، ص 10-11) قولهما إن «طبيعة مشكلة البحث» تؤثر على اختيار طريقة منهج البحث. الأمر نفسه ينطبق على اختيار نظرية. لقد أقدمت على تقييم حالة الديمقراطية في الأردن بعقل مفتوح، والجردة الديمقراطية (منشورة في فصول أخرى) لا تستند إلى أحكام مسبقة عن حالة الديمقراطية في الأردن.

نظرية التحديث لم تمت. ويمكن العثور عليها في أشكال مختلفة في العديد من البحوث، مثل دراسات برجيفورسكي الذي يقول إن هناك صلة بين الديمقراطية ونصيب الفرد من الدخل. لذلك، فإن اختيار نظرية التحديث مبرر على أسس موضوعية.

إضافة إلى ذلك، رغم أني أجد منطق راستو أكثر إقناعا، إلا أنني لا أتبنى نظريته دون نقد وتمحيص. فهو أخطأ عندما اعتبر التحديث مساويا للتغريب في حالتي مصر والإمبراطورية العثمانية (ص 11). كما أنه أخطأ عندما اعتبر لبنان [دولة] ديمقراطية و«الطوائف الدينية» بديلا عن الأحزاب السياسية المذكورة في متطلباته المسبقة لنشوء الديمقراطية (ص 228).

أظهرت الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت في السبعينيات، واستمرت حتى التسعينيات، أن لبنان ليس دولة ديمقراطية، وأن بعض أفراد «الطوائف الدينية» المختلفة كانوا قادرين على ارتكاب جرائم لا توصف ضد أفراد من الطوائف الأخرى. والنموذج اللبناني يبطل حجة أن الطوائف الدينية يمكن أن تكون بديلا مناسبا للأحزاب السياسية.

النظريات المختلفة حول ما تعنيه الديمقراطية، ونماذجها، وتصوراتها تدفع بعض دارسي الديمقراطية، مثل موف (2000)، إلى القول إنه لا يوجد اتفاق على كيفية توصيف «نوع الديمقراطية التي تأسست في الغرب

خلال القرنين الماضيين»(ص 1). من بين الأسماء المستخدمة في هذا الصدد: «الديمقراطية الحديثة، الديمقراطية التعددية، الديمقراطيات الدستورية [و] الديمقراطية الليبرالية».

أسهمت موف في التشويش من خلال تنظيرها حول «الديمقراطية الراديكالية» التي تصفها بأنها «البديل الوحيد». وتحث موف «اليسار» على «اتخاذ موقف مختلف تجاه الديمقراطية الليبرالية» (1995، ص 1). هذا يوضح أن الغموض ليس حقيقيا.

يعترف وايتهيد (2000) بوجود دلالات متنوعة لكلمة الديمقراطية في الثقافات المختلفة، وأنه من غير الممكن «افتراض استمرارية ما كامنة وراء معنى لمصطلح» منذ المدينة-الدولة الإغريقية (ص 8). ومع ذلك، يدعو إلى بعض الاتفاق على معنى (ص 8)، ويقول:

> «حتى أولئك الذين يعتبرون «الديمقراطية» أمرا معياريا في طبيعته، لديهم أسباب وجيهة لتفضيل إجراءات واضحة ومحايدة لتقييم وضع مدعي ملكية المصطلح. وحتى الذين يعتبرون تعريف «الحد الأدنى» أو «الإجرائي» للديمقراطية ناقصا، أو منحازا ثقافيا، يجب أن يفكروا فيما سيفقد إذا ما تم استبدال اللغة التوافقية ليس بالتزام عام بتعريف أكثر طموحا، بل بالعجز عن الاتفاق على معنى قياسي، وما سينتج من ترخيص للأحكام الذاتية والتعسفية».

إضافة إلى ذلك، تقول اوتاواي (2007): «لا يوجد أي سبب للطعن على المستوى النظري في فكرة أن الديمقراطية نظام سياسي متفوق على جميع النظم الأخرى» (ص 604). أتفق مع الجزء الثاني من قولها. أما التحديات النظرية فهي كثيرة. ومع ذلك، ما لم يخرج نظام حكم أفضل، ويبرهن أنه أفضل من الديمقراطية، سيظل نموذج الديمقراطية الليبرالية النموذج المتوفر الأفضل، على الرغم من عيوبه والحجج التي تقول إنه فكرة أوروبية.

لا خلاف طبعا على أن الديمقراطية ليست فكرة أو نظام حكم مثاليين. ليفورت (1988) يعترف بأن «المؤسسات الديمقراطية استخدمت باستمرار لتقييد وسائل الوصول إلى السلطة والمعرفة وتمتع الأقلية بالحقوق» (ص 19). ولكنه يؤكد أن «الديمقراطية تأسست ودامت بإذابة صانعي اليقين.

ودشنت تاريخا يجرب الناس فيه عدم التحديد كأساس للسلطة والقانون والمعرفة»(ص 19). ويذهب ليفورت أبعد من ذلك عندما يقول إن «الفلسفة تدين [قدرا كبيرا] للتجربة الديمقراطية» (ص 20).

تطور تعريفات الديمقراطية

يعرف ليبست (1959) الديمقراطية بأنها «نظام سياسي يوفر فرصا دستورية منتظمة لتغيير المسؤولين الحاكمين» (ص 71). أما فاينر (1970) فيقول: «الديمقراطية هي حكومة مستمدة من الرأي العام وتكون مسؤولة أمامه». ويضيف أن الرأي العام يجب أن يكون علنيا وحرا. الركن الثالث في تعريف فاينر للديمقراطية هي أن إرادة «الأغلبية تسود» (ص 63).

هناك عنصر إشكالي في تعريف فاينر، وهو «الرأي العام». أحد الأسباب أنه يستخدم «الرأي العام» كبديل عن «الشعب» رغم وجود اختلاف بين معنى الاثنين. سبب آخر هو وجود حاجة لقياس الرأي العام. [4]. وعادة ما يتم هذا في استطلاعات الرأي، وهذه لا يمكن التعويل أبدا على دقتها وموثوقيتها. الرأي العام الملموس في الدول الديمقراطية (الأغلبية) يعرف فقط بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات.

راستو (1967) أيضا يعرف الديمقراطية بأنها «نظام حديث السياسي حديث ووسيلة مساواة» و«أسلوب حكم شعبي يفترض مسبقا وجود حكومة وشعب»(ص 230-231). شومبيتر ([1942] 1976، ص 269) يوضح أن ما يسميه النظرية «الكلاسيكية» للديمقراطية تنص على «الصالح العام»، الذي يتحقق للناس من خلال انتخاب أفراد لتمثيلهم.

تفترض النظرية الكلاسيكية أن لدى الناس «رأيا واضحا وعقلانيا في كل مسألة»، وعلى هذا الأساس، ينتخبون الأفراد الذين يمثلونهم والذين «سيشرفون على تنفيذ الرأي». ولكن القرارات التي يمكن أن تتخذ من خلال الديمقراطية يجب ألا تكون مخالفة لبعض القيم والمثل. على سبيل المثال، لن يكون مقبولا من خلال الوسائل الديمقراطية السماح ب»اضطهاد المسيحيين، وحرق السحرة وذبح اليهود» (ص 242).

ويقول شومبيتر إن الديمقراطية «إجراء سياسي» و«ترتيب مؤسسي،» غايته التوصل إلى قرارات، «تشريعية وإدارية»(ص 242). ويعترض على الافتراضات الأساسية للنظرية الكلاسيكية للديمقراطية. تعريف شومبيتر للإجراء الديمقراطي هو «ترتيب مؤسسي من أجل التوصل إلى قرارات سياسية؛ ويكتسب الأفراد في هذا الترتيب سلطة اتخاذ القرار من خلال تنافس على أصوات الناس»(ص 269).

بالنسبة إلى الديمقراطية في جنوب أفريقيا، تتبنى ديغان (1999) تعريف شومبيتر، أي «النموذج العام للنظرية التنافسية» لأن شومبيتر «عرف الديمقراطية ليس كمفهوم طوباوي معني بالمجتمعات المثالية، بل كعملية وصفية، واقعية ودقيقة تجريبيا» (ص 3). وأشارت إلى أن «التعددية ارتبطت بالليبرالية وقبول قيم معينة»، مثل «حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات، وحرية الصحافة وحرية التجمع، ولا يجوز للحكومة انتهاكها «(ص 3).

ويحذر برينان، كوراني، ونوبل (1995) من «مخاطر المركزية الاثنية في قراءة عمليات مستمدة من مجموعة ظروف تاريخية وسياسية على ضوء سياقات أخرى مختلفة جدا». ولكنهم يحذرون أيضا من اعتبار الديمقراطية شأنا يعتمد على عين الناظر. لذلك، أجدهم مقنعين في قولهم: «بعض الصرامة المفاهيمية ضرورية لكيلا تنحط فكرة الديمقراطية وتصبح لها معنى عند كل إنسان» (ص 4).

أودونيل (2007) أيضا يقول إن «هناك اتفاقا في معظم دول العالم المعاصر أنه بصرف النظر عن معنى الديمقراطية، فإنها نظام الحكم المعياري المفضل» (ص 3). العربي صدّيقي (2004) يتفق جزئيا مع أودونيل، لكنه يقول إن «وجهة النظر المعيارية يجب ألا تعني إغفال الخصوصية الثقافية على سبيل المثال» (ص 54).

يشير هنتنغتون (1991) إلى وجود ثلاث مقاربات للديمقراطية منذ منتصف القرن الماضي. يقول: كشكل من أشكال الحكومة، «تم تعريف الديمقراطية من ناحية سلطة الحكومة، والأغراض التي تؤديها الحكومة، وإجراءات تشكيل الحكومة». واستمر النقاش من الأربعينيات وحتى السبعينيات، عندما انتصرت حجة وجهة نظر شومبيتر.

ويضيف هنتنغتون أن هناك قضايا من قبيل «الغموض وعدم الدقة عند تعريف الديمقراطية من ناحية مصدر السلطة أو أغراضها». ونتيجة لذلك، يتبنى هنتنغتون التعريف الإجرائي للديمقراطية الذي طرحه شومبيتر (ص 6). مزايا التعريف الإجرائي للديمقراطية، كما يحددها هنتنغتون (1991) هي أنها «توفر عددا من المقاييس [...] التي تجعل من الممكن الحكم على مدى ديمقراطية النظم السياسية، ومقارنة النظم ببعضها، ولتحليل ما إذا كانت النظم قد أصبحت أكثر أو أقل ديمقراطية»(ص 7).

ووضع دال (1989) بعض المعايير. ويستخدم مصطلح «الحكم المتعدد» (بولي آركي:) ويعتبر هذا أعلى مستوى من الديمقراطية. وفق مواصفات دال، للحكم المتعدد سمتان رئيسيتان، الأولى مواطنة واسعة النطاق لتشمل نسبة عالية نسبيا من السكان البالغين؛ والسمة الثانية، حقوق المواطنة تشمل معارضة أعلى المسؤولين في الحكومة والتصويت على إزاحتهم من منصبهم. ويتطلب الحكم المتعدد وفق تصور دال له سبعة أمور: (1) مسؤولين منتخبين. (2) انتخابات حرة ونزيهة؛ (3) حق الاقتراع الشامل. (4) الحق في الترشح للمناصب الرسمية. (5) حرية التعبير. (6) معلومات بديلة. (7) تمتع الجمعيات بالإدارة الذاتية (ص 220).

جون كين (1991) يعرّف الديمقراطية على أساس فهمها بصفتها «نظاما من القواعد الإجرائية مع مضامين معيارية» (ص 168). القواعد تتعلق باتخاذ القرارات، ومن خلال إجراءاتها تتخذ القرارات. ويحدد كين المضامين المعيارية التي يجب أن تصاحب القواعد الإجرائية، وهي تشمل «حقا عاما ومتساويا للبالغين في التصويت؛ حكم الأغلبية مع ضمان حقوق الأقلية [...]. سيادة القانون؛ وضمانات دستورية لحرية التجمع والتعبير والحريات الأخرى»(ص 168-169). ومن الملفت للنظر أن رأي راشد الغنوشي في الديمقراطية شبيه برأي جون كين. يقول الغنوشي (1993، ص 77):

> «النظام الديمقراطي شكل ومضمون. شكل يتمثل في إعلان مبدأ سيادة الشعب، وأنه مصدر كل سلطة، وهي سيادة يمارسها عبر جملة من التقنيات الدستورية والإجراءات العملية التي تختلف في جزئيا بين نظام وآخر، ولكنها تكاد تتفق على مبادئ المساواة

والانتخاب وفصل السلطات والتعددية السياسية وحريات التعبير والتجمع والتنقب والإقرار للأغلبية بالتقرير والحكم، وللأقلية بحق المعارضة من أجل التداول، وانتهى تطورها إلى الإقرار للمواطن بجملة من الضمانات الاجتماعية».

وبالنسبة إلى المضمون كما يراه العنوشي فهو على النحو التالي:

«أما مضمون النظام الديمقراطي فهو الاعتراف بقيمة ذاتية للإنسان يكتسب بمقتضاها جملة من الحقوق الفعلية مثل المساواة مع غيره، تضمن كرامته وحقه في المشاركة الفعالة في إدارة الشؤون العامة، والقدرة على الضغط على الحاكمين والتأثير فيهم من خلال ما يمتلكه من أدوات المشاركة والضغط والتأثير في صنع المصير، والأمن من التعسف والاستبداد» (ص 77).

تعريف كين للديمقراطية هو المعتمد في هذا الكتاب [5]. ولكن مبدأ سيادة القانون يتطلب لفت الأنظار إلى مسألة مهمة. سيادة القانون مبدأ مهم جدا. ولكن حتى الطغاة يستخدمون القانون كأداة للقمع. لذلك، من الضروري وجود آليات شفافة لسن القوانين، والمحكمة العليا يجب أن تكون الجهة النهائية في اعتبار قانون ما دستوريا أم لا.

في ختام هذا الفصل، أذكّر بأن غايته كانت تحديد تعريف الديمقراطية الذي استرشد به البحث. لقد أقدمت على تقييم حالة الديمقراطية في الأردن على أساس أنها تعني الديمقراطية الليبرالية النيابية (سارتوري 1962)، وأنها نظام من القواعد الإجرائية مع مضامين معيارية (كين 1991). سيكون عملا عبثيا وسخيفا الإقدام على تقييم حالة الديمقراطية في الأردن إذا تم تنفيذه على أساس أن الديمقراطية مفهوم لا معنى له.

= = =

الهوامش

[1] في عام 1999، اعترف بيرغر بأنه وآخرين ممن كتبوا عن نظرية العلمنة أخطأوا، وقال: «العالم اليوم، مع بعض الاستثناءات

[...] متديـن جـدا كـما في أي وقـت مـضى، وربمـا أكـثر في بعـض الأماكـن» (ص 2).

[2] اسـتخدم راسـتو في كتابـه «رجـل»، وهـذه يعـرض إلى نقـد نسـوي. التحديـث يؤثـر عـلى الرجـل والمـرأة.

[3] أقليـة صغـيرة تعـارض الجوانـب التقنيـة. في المملكـة العربيـة السـعودية، بعـض النـاس عارضـوا البـث التلفزيـوني؛ وعارضتـه أيضـا حركـة طالبـان في أفغانسـتان. ولكـن رفـض التقنيـة انتقـائي، فقـد يتـم الاعـتراض عـلى التلفزيـون، ولكـن يتـم اسـتخدام الراديـو والسـيارة.

[4] حتـى الجمهـور يصعـب تعريفـه. وهنـاك أكـثر مـن جمهـور داخـل الدولـة الواحـدة. كـما أن أكـبر جمهـور ممكـن لديـه أكـثر مـن رأي ويمكـن أن يغـير رأيـه بـين عشـية وضحاهـا.

[5] في عـام 2009، نـشر كـين كتـاب جديـدا عنوانـه «حيـاة ومـوت الديمقراطيـة». وهـو يؤكـد أن الكتـاب «يقـف بالتأكيـد مـع الديمقراطيـة بحجـج جديـدة» (ص xxxiii).

ملاحظـة: الفقرتـان المتعلقتـان بمفهـوم الغنـوشي للديموقراطيـة أضيفتـا كاملتـين هنـا، بخـلاف الإشـارة الموجـزة إليهـما في النـص الأصـلي في الرسـالة التـي كتبـت بالإنجليزيـة.

المراجع بالعربية

الغنـوشي، راشـد. 1993. **الحريـات العامـة في الدولـة الإسـلامية**. بـيروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة.

الغـزالي، محمـد. 1990. **أزمـة الشـورى في المجتمعـات العربيـة والإسـلامية**. القاهـرة: دار الـشرق الأوسـط.

الغـزالي، محمـد. 1997. **الإسـلام والاسـتبداد السـياسي**. القاهـرة: دار نهضـة مـصر.

المراجع بالإنجليزية

Beetham, D.. 2004. Freedom as the Foundation. *Journal of Democracy* 15(4), pp. 61-75.

Beetham, D. 2004. Towards a Universal Framework for Democracy Assessment. *Democratization* 11(2), pp. 1-17.

Beetham, D. 2005. *Democracy: A Beginner's Guide*. Oxford: Oneworld Publications.

Beetham, D. ed. 1994. *Defining and Measuring Democracy*. Thousand Oaks: Sage Publications.

Berger, P. L. 1977. *Facing Up To Modernity: Excursions in Society, Politics, and Religion*. New York: Basic Books.

Birch, A. H. 1993. *The Concepts and Theories of Modern Democracy*. New York: Routledge.

Bobbio, N. 1990. *Liberalism and Democracy*. London: Verso.

Brewer, J. D. 2000. *Ethnography*. Buckingham: Open University Press.

Brynen, R. 1992. Economic Crisis and Post-Rentier Democratization in the Arab World: The Case of Jordan. *Canadian Journal of Political Science* 25(1), pp. 69-97

Connolly, W. E. 1995. *The Ethos of Pluralization*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Dahl, R. A. 1956. *A Preface to Democratic Theory*. Chicago: University of Chicago Press.

Dahl, R. A. 1989. *Democracy and its Critics*. New Haven: Yale University Press.

Dworkin, R. 1983. What Liberalism Isn't. *New York Review of Books* 29(21 and 22).

Esposito, J. L. 1994. *Islam: The Straight Path*. Oxford: Oxford University Press.

Esposito, J. L. and Voll, J. O. 1996. *Islam and Democracy*. New York: Oxford University Press.

Finer, S. E. 1970. *Comparative Government*. London: Penguin.

Fukuyama, F. 1992. *The End of History and the Last Man*. New York: Avon Books.

Gallie, W. B. 1968. *Philosophy and the Historical Understanding*. New York: Schocken Books.

Giddens, A. 1990. *The Consequences of Modernity*. Cambridge: Polity Press in association with Blackwell.

Gray, J. 1995. *Liberalism*. 2nd Edition. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Haynes, J. 2001. *Democracy in the Developing World: Africa, Asia, Latin America and the Middle East*. Cambridge: Polity Press.

Held, D. 1987. *Models of Democracy*. Stanford: Stanford University Press.

Held, D. 1995. *Democracy and the Global Order: From the Modern State to Cosmopolitan Governanc*e. Cambridge: Polity Press.

Hitti, P. 1948. *The Arabs: A Short History*. London: Macmillan

Hoffman, J. 1988. *State, Power, and Democracy: Contentious Concepts in Practical Political Theory*. Brighton: Wheatsheaf Books.

Huntington, S. P. 1965. Political Development and Political Decay. *World Politics* 17(3), pp. 386-430.

Huntington, S. P. 1991. *The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century*. Norman: University of Oklahoma Press.

Huntington, S. P. 1993. The Clash of Civilisations. *Foreign Affairs* 72(3), pp. 22-49.

Huntington, S. P. 1997. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*. London: Free Press (Simon & Schuster).

Keane, J. 1991. *The Media and Democracy*. Cambridge: Polity Press.

Lewis, B. 1990. The Roots of Muslim Rage. *The Atlantic*, September 1990.

Lewis, B. 2002. *What Went Wrong? The Clash between Islam and Modernity in the Middle East*. London: Wiedenfeld & Nicolson

Lipset, S. M. 1959. *Social Mobility in Industrial Society*. Berkeley: University of California Press.

Macpherson, C. B. 1977. *The Life and Times of Liberal Democracy*. New York: Oxford University Press.

Mawdudi, A. A. 1976. Political Theory of Islam. In: Ahmad, K. *Islam: Its Meaning and Message*. London: Islamic Council of Europe, pp. 147-171.

Mouffe, C. 2000. *The Democratic Paradox*. London: Verso.

Mouffe, C. 2008. Which World Order: Cosmopolitan or Multipolar? *Ethical Perspectives* 15(4), pp. 453-467.

Mouffe, C. ed. 1995. *Dimensions of Radical Democracy: Pluralism, Citizenship, Community*. London: Verso.

O'Donnell, G. A. 2007. *Dissonances: Democratic Critiques of Democracy*. Notre Dame, Indiana: University of Notre Dame Press.

Ottaway. M. 2007. Is Democracy the Answer? In: Crocker, C., Hampson, F. and Aall, P. eds. *Leashing the Dogs of War: Conflict Management in a Divided World*. Washington, D.C.: United States Institute of Peace. pp. 603-617.

Rodinson, M. 1977. *Islam and Capitalism*. New York: Pelican Books.

Rustow, D. A. 1967. *A World of Nations: Problems of Political Modernization*. Washington, DC: Brookings Institution.

Saikal, A. 2003. Democracy and Peace in Iran and Iraq. In: Saikal, A. and Schnabel, A. eds. *Democratization in the Middle East: Experiences, Struggles, Challenges*. Tokyo: United Nations University Press, pp. 166-181.

Sartori, G. 1962. *Democratic Theory*. Detroit: Wayne State University Press.

Schumpeter, J. A. 1976. *Capitalism, Socialism, and Democracy*. New York: Harper & Row.

Zakaria, F. 2004. *The Future of Freedom: Illiberal Democracy at Home and Abroad*. New York: W. W. Norton.

إرشادات النشر

مجلة «عود الند» الثقافية

بعد إكمال «عـود النـد» عشر سنوات مـن الصـدور شـهريا في شـهر أيـار (مايـو) 2016، تقـرر تحويـل المجلـة إلى فصليـة، ويعنـي ذلـك صـدور أربعـة أعـداد سـنوية فقـط. الجـدول الزمنـي لأعـداد عـام 2017:

=1= ربيع 2017: آذار (مارس) 2017.

=2= صيف 2017: حزيران (يونيو) 2016.

=3= خريف 2017: آب (أغسطس) 2016.

نرحـب بتلقـي مشـاركات عاليـة الجـودة للنـشر في الأعـداد الفصليـة. الأولويـة في النـشر للبحـوث الأصيلـة عاليـة الجـودة. لزيـادة فـرص قبـول مشـاركتك للنـشر، مـن الـضروري مراعـاة كل الـشروط التاليـة.

(1) توثيـق الأفـكار والمقتطفـات المنقولـة توثيقـا كامـلا. أي نقـل غـير موثـق لا يعنـي رفضـا للـمادة المرسـلة فقـط، بـل رفـض كل مـا يـرد بعـد ذلـك دون الاطـلاع عليـه.

(2) يجـب أن يذكـر اسـم المنقـول عنـه في جسـم النـص، لا أن يدفـن الاسـم في قائمـة المراجـع. لـذا يجـب أن يكـون في جسـم الموضـوع عبـارات مـن قبيـل ويقـول فـلان الفـلاني، وتـشرح فلانـة الفلانيـة، وغـير ذلـك مـن أفعـال تـناسب سـياق سرد المعلومـات وتحليلهـا ونقدهـا.

(3) أسـلوب التوثيـق الـذي تفضلـه «عـود النـد» ذكـر اسـم الكاتـب/ة وسـنة صـدور المرجـع ورقـم الصفحـة. عـلى سـبيل المثـال: ويقـول فـلان الفـلاني (1985، ص 49) ....

(4) قائمـة المراجـع يجـب أن تكـون مرتبـة حسـب نظـام معـروف، ولا يختلـف توثيـق مرجـع عـن آخـر ضمـن قائمـة المراجـع الواحـدة.

(5) اتبـاع أحـكام الطباعـة بالكامـل: لا فـراغ قبـل النقطـة والفاصلـة وغيرهـا مـن

علامات الترقيم، ويجب عدم الفصل بين واو العطف والكلمة التي تليها. عدم الاكتراث بهذه الأحكام = رفض الموضوع فورا.

(6) استخدام علامات الترقيم استخداما صحيحا. يجب أن يكون واضحا للقارئات والقراء أين تبدأ الجملة، وأين تنتهي ولا يترك الأمر للتخمين، أو يفترض أنه واضح. يجب أن تنتهي الجملة بنقطة دائما. عدم الاكتراث بهذه الأحكام = رفض الموضوع فورا.

(7) الاقتصاد الشديد في استخدام كلمات بالإنجليزية والفرنسية لأنها تؤثر على تنسيق السطور والفقرات عند النشر على صفحات موقع المجلة.

(8) الجداول والرسمات التوضيحية التي يمكن تنفيذها باستخدام برنامج وورد لا يمكن نشرها في صفحات موقع المجلة. المواد التي تعتمد على الجداول والرسمات التوضيحية معرضة للرفض.

(9) إرسال المادة المرغوب في نشرها من خلال موقع المجلة، باستخدام نموذج خاص بذلك. لا نستقبل مواد للنشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولا برسائل بريد إلكتروني مباشرة.

النشر في المجلة مشروط بالموافقة على سياسة النشر. سياسة النشر واضحة، وليست قابلة للتفاوض. تخضع كل المواد المرغوب في نشرها إلى إجراءات تتأكد من أن معلوماتها موثقة توثيقا كاملا. ولكي نقوم بهذه المهمة، لن ينشر أي موضوع قبل مرور ثلاثة شهر على الأقل. راجع/ي موضوعك أكثر من مرة قبل إرساله. مهمتك إرسال مادة عالية الجودة مستوفية لكل المواصفات أعلاه. ومهمتنا توفير المنبر للنشر.

«عود الند» توفر لك كل المعلومات اللازمة بخصوص توثيق البحوث وغير ذلك من معلومات أساسية في موقعها، والإنترنت مليئة بالمواقع المختصة بالتوثيق والأمثلة على توثيق كل أنواع المراجع.

فور إرسال مادة للنشر، سيصلك منا أولا رد آلي فيه نسخة من رسالتك. بعد ذلك، إذا لم يصلك رد شخصي خلال ثلاثة أسابيع فهذا يعني أن موضوعك لم يقبل للنشر.

تذكير: «عود الند» لا تنشر الشعر بمختلف أشكاله.

«عــــود الـــنــــد»: الأرشيف الرقمي

أخبار صدور أعداد مجلة «عود الند» الثقافية في صحف عربية عديد متوفرة على الرابط التالي بصيغة بي دي اف:

https://drive.google.com/drive/folders/0B6_xqjQMItw8OQURyUTcxR21iQkE

غلف أعداد «عـود الند» متوفرة على الرابط التالي بصيغة بي دي اف:

https://drive.google.com/drive/folders/0B6_xqjQMItw8OQU00VjlNUVFrWjA

افتتاحيات أعداد «عـود الند» متوفرة على الرابط التالي بصيغة بي دي اف:

https://drive.google.com/drive/folders/0B6_xqjQMItw8OUWpySElaemNpbkU

تابعونا في مواقع التواصل الاجتماعي

تويتر : @oudalnad
غوغل + : oud al-nad
فيسبوك (إعجاب) : oudalnad
فيسبوك (صداقة) : oudnad

عـــود الـنــــد فــي سـطـور

صـدر العـدد الأول مـن مجلـة «عـود الـنـد» الثقافيـة مطلـع شـهر حزيـران (يونيـو) 2006. وصـدرت شـهريا عـشر سـنوات متتاليـة.

حصلـت «عـود الـنـد» مـن المكتبـة البريطانيـة عـلى رقـم التصنيـف الـدولي للدوريـات في شـهر تشريـن الثـاني (نوفمـبر) 2007. الرقـم الخاص بـ«عـود الـنـد» هـو: ISSN 1756-4212

شـارك في «عـود الـنـد» كاتبـات وكتـاب محترفـون ومبتدئـون مـن الـدول العربيـة والمهجـر.

بعـد إتمـام العـام العـاشر، وصـدور 120 عـددا شـهريا، تقـرر تحويـل المجلـة إلى فصليـة.

نـاشر المجلـة د. عـدلي الهـواري. لـه خمسـة كتـب، ثلاثـة بالعربيـة: **اتحـاد الطلبـة المغـدور؛ بسـام يبتسـم؛ كلـمات عـود الـنـد؛** واثنـان بالانجليزيـة عـن مـدى توافـق الديموقراطيـة والإسـلام ومـا يسـمى الإسـلام السـياسي.

www.oudnad.net